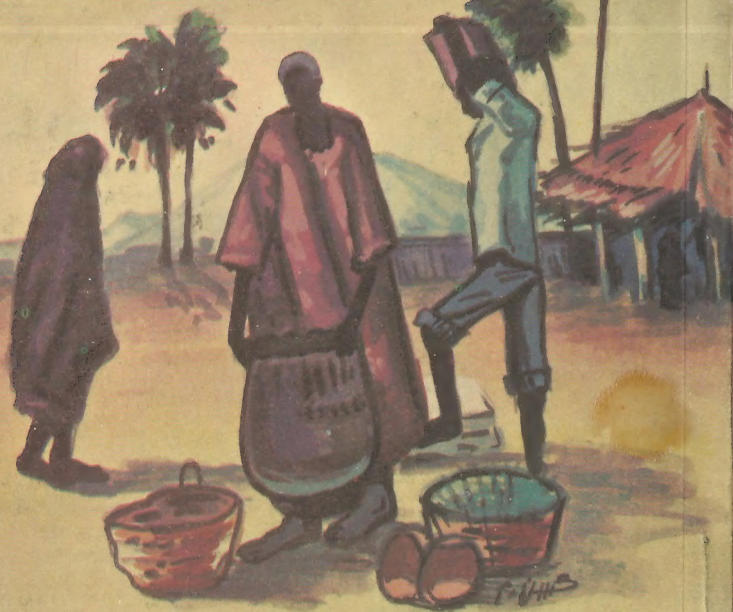


وقفات مهمة في التاريخ الافريقى



منشورات
دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع



٣٩

الكتبة الصغيرة

المكتبة الصّغيرة

٣٩

وقفات مهمّة في التاريخ الأفریقی

عبد الله حسن محمد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
ذو الحجة ١٤٠٢ هـ
سبتمبر ١٩٨٢ م

منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الغلاف من تصميم الفنان : محسن منصور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي له العزة جميعاً ومنه وحده النصر ،
والصلاة والسلام على من أُرسل هداية للعالمين .

وبعد ؛

فانه من دواعي سرورى وغبطى أن أقدم هذا الكتاب الى
القارئ العربي كمساهمة صومالية متواضعة في المكتبة
العربية وايماناً منى بأنّ الالتحام العربي الأفريقي الذى
تدعمه جهات عربية سياسية وعلمية عديدة اليوم لن يؤتي
ثماره مالم يسخر القارئ على فكرة ولو موجزة عن تاريخ
أفريقيا عبر عصورها المختلفة واعياً الظروف القاسية التى
مرت بالانسان الأفريقي والتى تؤثر عليه حتى اليوم فكراً
وعملاً . كما تشكل نظرتة الى الأمور وسلوكه ازاء المواقف
المختلفة . لأن فهم الظروف الماضية شرط أساسى لادراك
الأحداث الحاضرة كما يقول التاريخ .

وثمة ملاحظات حول الكتاب منها :

■ أنه لا يعنى من قريب ولا من بعيد بأحداث قطر معين
أو تاريخ خاص ببلد من البلدان الأفريقية ولكنه مركز

على الأحداث العريضة التي تعد القاسم المشترك لاقطار القارة كلها . ولقد تجنبت قدر المستطاع حشو المعلومات والأحداث التي لا تخدم هذا الغرض أو قد لا تهم القارئ العربي تمشياً مع سياسة الكتاب .

■ أننى لم أذيل الكتاب بالمراجع لأن المعلومات الواردة فيه بعضها خلاصة تجاربي وتصوراتى الخاصة وبعضها الآخر قد توفر لى فى صورة ملاحظات مدونة خلال سنوات طويلة من قراءات متعددة لا أعرف لها مرجعاً رغم ثقتى فى صحتها ثم أن هذه المعلومات على درجة كبيرة من المشاعية ان صح هذا التعبير ، بحيث لم يعد لأحد حق الادعاء للمكيتها .

■ ان أفريقيا السوداء هي موضوع بحث هذا الكتاب .. وقد تعمدت فى ذلك اعتقاداً منى بأن الأقلام العربية قد أسهمت فى الكتابة عن الجزء العربي من القارة الأفريقية . وهذا لا يعنى أن شمال أفريقيا الغربي لم يتعرض للأحداث والتجارب العامة التى مرت ببقية أجزاء القارة .

■ وأخيراً فان ثقتى كبيرة فى أن يبلى الكتاب ريق القارئ العربي ان لم يرو ظمأه ، كما آمل أن يحذو اخواني الصوماليون حذوى فى الكتابة بالعربية لغة الأمة العربية التى انتماؤنا الى جامعتها عام ١٩٧٤م لم يكن سوى تقنين الواقع ، واقع أن عروبة الصومال حقيقة ثابتة لغة ودينياً وتاريخياً وأملاً ، وستظل كذلك باذن الله ٢

عبد الله حسن محمد

الرياض فى ٦/٣/١٤٠١ هـ

الفصل الأول

١ - أصل الأفريقيين السود :

ينبغي تذكير القارئ قبل كل شيء أن غير المسلمين لم يتفوقوا على أصل الحياة الكونية والانسان بصفة خاصة ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا وأتوا بشطحات عجيبة واستنتاجات شتى منها :

أولاً : أن الانسان انما تطور من الغوريلا ، وهي أرقى أنواع القرود من حيث الذكاء والشبه بالانسان . فيقولون أن الغوريلا هذا قبل أن يصير انساناً سوياً مرّ بمراحل متعددة ، فاستغنى أولاً عن السير على أربعة كبقية الحيوانات وصار يمشى على رجلين .

ثم شرع يمرن يديه على القبض والمسك ، وهكذا ظلّ القرد - أبو البشر في نظرهم - يتطور جسماً ، وينمى مواهبه وخبراته شيئاً

فشيئاً حتى أصبح على الصورة النهائية التي يبدو بها الناس حالياً .

واختلاف الألوان في نظر أصحاب هذه الفكرة ما هو الا نتيجة لاختلاف ألوان القروود التي انحدرت منها شعوب العالم من أبيض وأسود وأصفر .

وأصحاب هذه الفكرة ينتمون الى مدرسة ذات اعتبار كبير في العلوم والتاريخ وقد أسسها عالم الطبيعة داروين ، صاحب نظرية (النشوء والارتقاء) القائمة على أن جميع الكائنات الحية تتقاتل براً وبحراً وجواً والبقاء للأصلح ، والأصلح هو الذي يتغير دائماً ويتشكل ويتلون تبعاً للظروف المحيطة به سلباً وإيجاباً .

وهنا تجدر الإشارة الى أن بعض تلاميذ هذه المدرسة لم يستحسنوا فكرة انتساب الأوربي الوسيم الى القروود ، ومن ثم انشقوا على زملائهم ، ذاهبين الى القول بأن الزنوج فقط هم الذين ينتمون الى الغوريلا .

ثانياً : وثمة مدرسة ثانية لها نظرية في أصل الحياة الكونية بما فيها الانسان فيقول علماء الجولوجيا الذين يدرسون التربة والصخور لتحديد عمر الأرض ، وكذلك رجال الأنتروبولوجيا الذين يدرسون أعمال الانسان القديم وآثاره ، يقولون أن عمر الكرة الأرضية يقدر بحوالى أربعة بلايين من السنين .

وأن الأرض بدأت أول ما بدأت كغازات سائلة كثيفة وملتهبة ، أخذت تبرد شيئاً فشيئاً حتى صارت جامدة ومحاطة ببحر من الهواء الذى نطلق عليه المناخ .

وقد شهد سطح الأرض منذ أن استقر على تلك الصورة تغيرات جزرية دائمة وتحولات جووية مستمرة ، فالثلوج تغطى مساحات شاسعة من الكرة الأرضية ، وعوامل التعرية من رياح وأمطار ومياه جارية دائبة العمل فى سطح الأرض ، فأقاليم صحراوية تحصل على مطر ، وأراض خصبة تصبح عقيمة ، بحيرات تجف ،

وأنهار تغيّر مجراها ، جزر تتلاشى وأخرى تظهر .

ما معنى هذا كله ؟ معناه فى نظر أصحاب هذه المدرسة أن الطبيعة الكامنة فى باطن الأرض والمغيرة لسطحها هى نفس القوة التى تسببت فى انتشار العالم الى أقطار وقارات متباعدة تتخللها بحار وأنهار وجبال .

لأن أصحاب هذه المدرسة حينما طُوبوا بتفسير الحياة الكونية اكتفوا بالقول بأن معجزة الحياة فوق الأرض ابتدأت خلية ، فالحيوانات ذات الدم البارد كالضفادع ، ثم الحيوانات ذات الدم الحار كالأنعام .

وفى طور لاحق ظهر الانسان ... متى ، كيف ، ومن أين ؟؟

تلك معضلة عجز أنصار هذه الفكرة عن حلها .

حقيقة أنهم أتوا بتصنيفات عديدة لشعوب
العالم تبعاً للفروق الظاهرة بينها في اللون
والملامح الجسدية كذكرهم مثلاً الأجناس الآرية
والمنغولية والسامية والزنجية الخ ، غير أنهم لم
يوفقوا في تحديد أصل الانسان رغم ايمانهم
بالأصل المشترك للبشر أجمعين على اختلاف
ألوانهم .

ولعل ايليا أبو ماضى في أبياته الآتية كان لسان
حال المدرسة :

جئت لا أعلم من أي من ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدا مى طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصر ت طريقي ؟
لست أدري !!

هذا أهم ما قاله غير المؤمنين بالأديان السماوية
بالنسبة الى أصل الانسان والحياة الكونية بصفة
عامة وعلى المستوى الأكاديمي .

أما على المستوى الشعبي فثمة تفسيرات شعبية خرافية كثيرة لدى معظم شعوب الأرض في ظاهرة اختلاف ألوان الناس .

فعند قبيلة صومالية اسمها آل عيسى اعتقاد شائع بأن كل الأمم والشعوب تنتمي إليها وتنحدر منها ، ولها في ذلك نظرية ذات معيار أخلاقي تقول (كل الناس من آل عيسى « أى سود » غير أن الذنوب جعلت بعضهم أبيضاً ، أو أحمرأ ، أو أصفرأ) .

يستفاد مما تقدم بأن مسألة أصل الافريقيين السود مرتبطة بقضية أكبر منها وأعم ، وهي أصل البشر ككل على اختلاف ألوانهم وقاراتهم ، وأن المؤرخين ماعدا المسلمون وبعض أهل الكتاب لم يبتئوا في الأمر ولم يتفقوا عليه .

وبناء عليه فإن كل ما قاله الناس في تحديد أصلهم وتوضيح السبب في اختلاف ألوانهم لا يعدو كونه اجتهادات فردية ، لا ينبغي التقليل

من شأنها في مجال العلوم والمعارف الانسانية ،
ولكنها بعيدة عن الحقيقة في هذا المضمار .

وأيन الحقيقة اذن ؟

أقول : الحقيقة عند خالق كل شيء ..

وأوضحها الله لنا بطريقة تناسب أفهامنا ان كنا
نعقل أو نعتبر .. فقد كرر الله تبارك وتعالى في
سور عديدة من القرآن الكريم بل وفي سورة
واحدة الآية الكريمة «والله يعلم وأنتم لا تعلمون»
ثم أخبرنا سبحانه من هذا المنطلق ، منطلق علمه
الواسع المحيط بكل شيء بأنه جلّ وعلا ، خلق
الانسان خليفة له في الأرض يستعمرها وينتفع
بخيراتها ، ويعبد فيها الله الواحد الأحد ، وأن
كل نفس رهينة بما كسبت يوم الحساب .

والناس جميعاً أغصان شجرة واحدة هي آدم
وحواء . (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)
«الأعراف - ١٨٩» .

ومن هذا المنطلق لعلم الله الواسع المحيط بكل
شئ عرفنا أيضاً حقيقة خلق الكون ، قال تعالى :
(الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ
فَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا) « الفرقان - ٥٩ » .

وأخيراً صار في استطاعة المسلمين من هذا
المنطلق الواسع لعلم الله ادراك حكيمته تعالى في
اختلاف ألوان مخلوقاته . قال تعالى في محكم
كتابه : (وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) « فاطر - ٢٨ » .

فاختلاف ألوان مخلوقات الله من بشر وحيوانات
وأشجار وحتى الجبال والأحجار انما هو آية
ناطقة بقدرة الله وعظمته وداعية الى التأمل
والتفكر في خلق الله كوسيلة ضرورية للتوصل
الى الايمان الكامل بقدرة الله وعظمته ، التي
اقتضت تزويد كل نوع من أنواع مخلوقاته

الكثيرة بألوان مختلفة دون أن يكسب اللون
لصاحبه ميزة على صنعة .

وهذا هو السبب في أن المسلم لا يعرف
ولا يعترف بالتفرقة العنصرية التي هي التقليل
من شأن الناس بسبب اللون ، لأنه يراها قبل
كل شيء انكاراً سافراً لآية من آيات الله الكبرى
ونقصاً في عقيدته ، وخطراً على دينه .

وعجبي من ضلال قوم يدعون فضل أحد على
أحد بحسب اللون دون أن يثبتوا مثل ذلك الفضل
للبقرة الحمراء على الصفراء ، والناقة السوداء
على البيضاء ، مع اعترافهم بأن الانسان انما
هو حيوان ناطق !!

٢ - أصل كلمة أفريقيا :

من المعلوم تاريخياً أن الحضارة الفينيقية
قامت على شاطئ فلسطين . ثم استولى الفينيقيون
على تونس في شمال أفريقيا ، متخذين من

شاطئها لأساطيلهم التجارية .

والفينيقيون عاصروا الامبراطورية الرومانية واشتبكوا معها في حروب طويلة استمرت مائة سنة ، وانتهت بهزيمتهم وازالتهم من الوجود عام ١٤٦ ق.م .

هؤلاء الفينيقيون كانت لهم سيطرة كاملة على تجارة البحر الأبيض ، وفضل عظيم في الحضارة الانسانية . فعنهم أخذت اليونان الكتابة بالحروف بدل الصور والرسوم لأول مرة في التاريخ .

ومن اليونان أخذت كل الشعوب الأوروبية الأبجدية اللاتينية . المهم أن الفينيقيين أطلقوا على شعب تونس اسم « أفرا » (كلمة ذات معنى غير معروف لنا في لغتهم) ومن بعدهم أتى الرومانيون فأطلقوا كلمة « أفرا » للدلالة على شعوب شمال أفريقيا ، ثم امتد الاسم ليشمل القارة كلها .

٣ - شمال أفريقيا مصدر حضارة أفريقيا السوداء :

قبل حديثي عن لبّ هذا الموضوع أود أن أعيد
الى ذهنك عدة حقائق تاريخية منها :

* أنه ليس هناك اجماع بين المؤرخين حول
تعريف محدود لكلمة الحضارة ، بيد أن معظمهم
يميل الى أنها تعنى « الحياة فى مدن » على أساس
أن الناس حينما يجتمعون بأعداد هائلة فى مدينة
واحدة يصبحون متحضرين ، أى متخصصين فى
مهن مختلفة ، كل واحد يمارس عملاً واحداً أو
يتقنه ، فيكون لهم بذلك فلاحون جلدون ، وعمال
مهرة ، وتجار نشيطون ، وموظفون اداريون
وأصحاب حرف أخرى .

ثم أضافوا الى ذلك شرطاً آخر وهو أن ينتج
بعض الناس فائضاً زراعياً يبيعونه لأصحاب
المهن الأخرى مقابل حاجاتهم ، الأمر الذى
سيؤدى الى تبادل تجاري داخلي وخارجي ،

واستبعدوا ازدهار الحضارة في قطر ينتج كل فرد فيه قوته الضروري فقط .

* كان لدى شعوب أفريقيا السوداء حضارة عريقة وامبراطوريات قديمة يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الميلاد بكثير ، وثمة حقيقة أخرى وهي أن الأوروبيين ما كانوا يعرفون عن أفريقيا السوداء قبل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

حقيقة أنه كانت لدى أوربا ملاحظات عامة عن أفريقيا سجلها بعض العرب والأوروبيين في رحلاتهم الاستكشافية ، غير أن الاتصال كان مقطوعاً تماماً بين أوربا وأفريقيا السوداء قبل المرحلة المذكورة آنفاً .

والسؤال الموجه الى التاريخ - والحال هذه - هو : ما مصدر حضارة أفريقيا السوداء ؟

يتولى التاريخ الرد على هذا السؤال قائلاً : ان الشمال كان مصدر حضارة أفريقيا السوداء

ونافذتها على العالم ، وفيما يلي ايضاح لهذه الحقيقة التاريخية :

ان العالم قد شهد - كما نعلم - في المدة الألف وخمسمائة سنة السابقة للتاريخ الهجري الاسلامي ، ثلاثة امبراطوريات كبرى دفعت الحضارة الانسانية الى الأمام بخطوات واسعة .

ونعنى بها الامبراطورية الفارسية التى ورث عنها مهارة فائقة فى تعبيد الطرق وتشيد القصور ، وتراثاً قيماً من الحكم والأمثال .

والامبراطورية اليونانية التى وضعت اللبنة الأولى للفكر الانساني السليم ، والأسس الأولية للعلوم والمعارف البشرية ، من الفلسفة والمنطق والهندسة والطب والفلك والجغرافيا . والامبراطورية الرومانية التى اشتهرت بالديمقراطية ووضع القوانين وتشجيع المهن المختلفة ، وتطوير الهندسة المدنية لبناء الجسور وشق القنوات وتشيد المسارح للتسلية والترفيه،

واقامة نواد للاجتماعات العلمية والتجارية .

المهم أن هذه الامبراطوريات الثلاثة كلها غزت
أقطار شمال أفريقيا واحتلتها سياسياً وثقافياً
وعسكرياً ، ناقلة اليها - بطبيعة الحال - كلما
كان لديها من علوم ومعارف ومهارات وعادات .
وكانت شعوب شمال أفريقيا تنقل بدورها
العلوم والمعارف الى بقية أجزاء القارة الأفريقية
عبر الطريقين الآتيين :

الطريق الأول :

أن مصر تعرضت طوال تاريخها القديم
والوسيط لغزوات أجنبية كثيرة وما احتلال
الامبراطوريات السابقة الذكر لمصر سوى جزءاً
من تلك الغزوات الكثيرة .

وكان من نتائج تلك الغزوات أنه كلما وقع
غزو على مصر فرّ عدد غير قليل من أبنائها الى
الصعيد المصري ، فالسودان قلب القارة على
هذا الترتيب .

حدث هذا حتى فى أيام محمد على باشا فى أوائل القرن التاسع عشر ، وذلك حينما أعلن حرباً على المماليك ، هاجرت مجموعات كبيرة منهم الى قلب القارة ، حاملين معهم كل ما كان لدى مصر من فنون وعلوم وعادات . ولذا ذهب بعض المؤرخين الى القول بأن خسارة مصر فى العصور القديمة والوسيلة والحديثة كانت مكسباً عظيماً لأفريقيا السوداء ، وقديماً قالوا : (خسائر قوم عند قوم فوائد) .

ويستدل على صحة هذا الراى بوجود آثار تاريخية مصرية من عادات وعملات فضية وأوان فخارية فى قلب القارة وشرقها .

الطريق الثانى :

الطريق الثانى هو من المغرب العربى الى غرب أفريقيا وذلك لأن المغرب العربى كان على اتصال دائم بحضارة العالم الخارجى ولا سيما الامبراطوريات الثلاثة التى سبقت الاشارة اليها

من جهة ، ولأن الصحراء الكبرى التى تتحكم فى جغرافية شمال أفريقيا كحاجز طبيعى ، لم تمنع الشعوب القاطنة على طرفي الصحراء من الاتصال طوال التاريخ لأسباب التجارة والحج ، والتعليم من جهة أخرى .

ويستدل على صحة هذه الفكرة بحقيقة أن معظم الامبراطوريات الأفريقية التى سجلها التاريخ ، قامت حول الحزام الخصيب من الأراضى الواقعة بين الصحراء وبين الغابات الكثيفة ، أى المنطقة المعروفة جغرافياً باسم سافانا (الحشائش الطويلة) ، وهى أقرب مناطق أفريقيا السوداء الى المغرب العربى ، هذا فى حين أن شعوب المناطق الساحلية فى غرب أفريقيا وجنوبها كانت بدائية متأخرة .

يضاف ذلك الى حقيقة أن الامبراطوريات الأفريقية نفسها كانت قائمة على أكتاف أبناء المغرب العربى كمستشارين ومعلمين واداريين . وقصارى القول أن الحضارة وصلت الى أفريقيا

السوداء من شمال أفريقيا ، أى من المغرب العربي
الى غرب أفريقيا عبر الصحراء . ومن مصر الى
شرق القارة وقلبها عبر النيل . ويستثنى من هذه
القاعدة العامة شعوب سواحل شرق أفريقيا
كالصومال وزنجبار على أساس أنه كانت لهذه
الشعوب علاقات دينية وتجارية قديمة ومباشرة
مع الجزيرة العربية ، وبالتالي لم تكن في حاجة
الى التطلع الى شمال أفريقيا البعيد عنها .

الامبراطورية الأفريقية القديمة

ان ما نعرفه عن حضارة أفريقيا السوداء قليل جداً ، بالقياس الى ما نجهل عنه . والسبب أن شعوب المنطقة لم تكن تعرف الكتابة كشقيقاتها في شمال أفريقيا .

ورغم هذا فان حضارة أفريقيا السوداء قديمة باجماع المؤرخين ، فرجال الأنثروبولوجيا مازالوا يعثرون كل يوم على آثار تاريخية من نحت ونقوش ورسوم وجماجم بشرية يرجع عهدها الى آلاف السنين قبل الميلاد .

وهناك مسألة يجب أخذها في الاعتبار قبل الحديث عن هذه الامبراطوريات ، وهي أن الامبراطوريات الأفريقية التي سجلها .. كثيرة العدد ، مختلفة العصور ومتباعدة المواقع جغرافياً ، فبعضها قام قبل الميلاد ، وبعضها في العصور الوسطى ، ولم يمض على بعضها الثالث

سوى عدة قرون .

وعلى هذا الأساس فإن الامبراطوريات التي
سندر سها فى هذا الفصل أخذناها كنماذج على
سبيل المثال لا الحصر .

أ - امبراطورية غانا :

تأسست هذه الامبراطورية فى القرن الثالث
الميلادى واستمرت الى القرن الحادى عشر .

وكانت عاصمتها «كومبى صالح» مدينة تجارية
رائعة وذات شوارع منسقة ومحاطة بحدائق
فيحاء وأشجار مزروعة والتي حازت اعجاب
المؤرخين ، وما زالت آثارها موجودة وهي تنطق
بعظمة أهلها ورقبهم الحضاري .

ومن أعظم ملوكها « تكمينين » الذى حكمها فى
القرن الثامن الميلادى ، والذى بلغ من القوة
والعظمة الى الحد أنه جمع حوله حوالى مائتى
ألف من المقاتلين المسلمين بسيوف ورماح

حديدية حادة ، مما يدل على أن استعمال الحديد وصهره كان معروفاً لهم قبل ذلك بكثير .

ولأن « تكمينين » كان في حاجة ماسة الى أموال طائلة للنهوض بنفقات جيشه الكبير ، فقد فرض ضرائب تصاعدية على الصادرات والواردات بطريقة لا تبعد كثيراً عن نظام الضرائب المتبع حالياً فى العالم .

وكان لهذا الملك العظيم مستشارون فى الشؤون المختلفة، ومحافظون فى الأقاليم للتصريف فى أمور الناس نيابة عنه ، شأنه فى ذلك شأن أى امبراطور فى التاريخ القديم أو الحديث .

وقد ازدهرت الامبراطورية الفانية فى عصور ملوكها الأقوياء ، وكثرت المحصولات الزراعية ، وعاش الناس فى سلام ووثام .

ومما ساعد هذه الامبراطورية على معرفة شئون الادارة والحكم ، صلاتها الثقافية والتجارية المباشرة مع المغرب العربي .

غير أن الضعف أخذ يدب في أوصال هذه الامبراطورية في أوائل القرن الحادي عشر ، وكثرت القلاقل والفتن الداخلية ، وصارت عرضة لهجمات سكان الأقاليم الفقراء الذين استشاطوا غضباً لثراء أهل العاصمة .

وصادف هذا وجود « ابن ياسين » في حوض نهر السنغال مع عدد غير قليل من أنصاره المسلمين المؤتمرين بأوامره . وابن ياسين هذا شخصية عجيبة في تاريخ المغرب العربي وغرب أفريقيا على السواء . فقد أحضره أحد زعماء برابرة الصحراء لِيُعَلِّمَ الناس تعاليم الاسلام فلما وجد « ابن ياسين » أن التقاليد التي يتبعها الناس تخالف الاسلام جملة وتفصيلاً ، اعتزل الحياة العامة ، وأخذ يدعو الناس الى التعاليم الاسلامية السليمة ، وفي النهاية صار زعيماً دينياً وقائداً سياسياً ، وهو الذي أسس الطريقة المرابطية التي حكمت المغرب لمدة عشرين عاماً

المهم أن « ابن ياسين » أعلن حرباً دينية دموية

على غير المسلمين وحينما قوى ساعده وواتته الفرصة ، أرسل جيشاً قوياً بقيادة أبو بكر - أحد الزعماء المراتبية - الذى تمكن بسهولة من هزيمة جيش امبراطورية غانا ، ودخول عاصمتها « كمبى صالح » وأسر آخر ملوك المملكة الفانية عام ١٠٧٦ م .

وكان ذلك نهاية للامبراطورية الفانية التى أصبحت فيما بعد جزءاً من الامبراطورية التى قامت على أنقاضها .

ب - أمبراطورية مالى :

حينما استولى جيش « ابن ياسين » المراتبى على عاصمة الامبراطورية الفانية دبت الفوضى فى كل الأقاليم لعدم وجود سلطة مركزية تربط الأقاليم بعضها ببعض .

وأعلن رجال عديدون أنفسهم ملوكاً على الامبراطورية المنهارة ، ولكنهم جميعاً فشلوا فى تحقيق أطماعهم سوى (سونديات الأعرج) الذى

استولى أولا على مدينة (كنكبا) معلناً نفسه ملكاً على المنطقة ، ثم أخذ يضم الى مدينته كل المدن المجاورة له .. مدينة تلو الأخرى ، حتى كوّن امبراطورية «مالى» ، ناقلا عاصمتها الى «نماص» على نهر النيجر . ولما مات «سونديات» خلفه فى الحكم رجل يعد من أعظم رجالات الاسلام فى غرب أفريقيا ، ألا وهو « منساموس المسلم » ، الذى تولى الحكم فى منتصف القرن الثالث عشر ، وعمل جاهداً على توسيع مساحة امبراطوريته الى جميع الجهات .

وفى عصره صارت « مالى » من أعظم الامبراطوريات فى العالم ، كما كان الدين الاسلامي دين الامبراطورية الرسمي . وكانت عاصمته تستقبل أفواجاً هائلة من أبناء شمال أفريقيا الغربي كتجار ومستشارين ومعلمين وعلماء .

و « منساموس » هذا له قصة حج ظريفة .. فقد روى أنه سافر الى مكة المكرمة لأداء فريضة

الحج ، ذهب ومعه آلاف من النبلاء والجنود والأعيان ، تصاحبهم ثمانون من الابل محملة بذهب تبلغ قيمته ملايين من الجنيهات .

وعندما كان يمر « بالقاهرة » وزع الذهب كله على العلماء والفقراء المصريين اعجاباً منه بعظمة مصر الدينية والحضارية . وظلت زيارته تذكر بالخير في مصر مدة طويلة وبعد عودته من الحج ، قضى « موسى » معظم حياته الى جانب واجباته كملك ، داعياً الى الاسلام ، عاملاً على نشره ومدافعاً عنه بلسانه وسلاحه معاً .

وفي عهده وصف شعب مالى بأنه أذكى وأكثر شعوب غرب السودان حضارة واحتراماً . ومن المعلوم أن اسم السودان كان يشمل في التاريخ القديم والوسيطة كل بلدان غرب ووسط أفريقيا ، بالاضافة الى السودان نفسها .

وبعد وفاة « منساموس » تولى الحكم ملوك ضعفاء ، لم يستطيعوا السيطرة على تلك المساحات

الشاسعة من أراضى الامبراطورية . فانفصلت بعض الأقاليم معلنة استقلالها عن الامبراطورية . وأسوأ من ذلك أن بعض المقاطعات أخذت تهاجم العاصمة ، وتنهب خيراتها دون أن تلقى عقاباً رادعاً من قِبَل الملوك لضعفهم وقلة حيلتهم من جهة ، ولأن الخلافات كانت ذات طابع قبلى اقليمى غير مستعد لسماع صوت المنطق ، والمفاوضات السياسية من جهة أخرى .

وكانت النتيجة الحتمية لتلك الظروف القاسية سقوط امبراطورية مالى فى منتصف القرن السادس عشر .

وفى ختام الحديث عن امبراطورية «مالى» ، ينبغى أن نذكر حقيقة تاريخية وهى : أن وجود تجار ومستشارين ومعلمين من المغرب العربى فى امبراطورية مالى معناه أن هذه الامبراطورية كانت على علم تام بحضارة شمال أفريقيا ، وأن آثار تلك الحضارة من لغة وعادات حتى الآن فى تلك المنطقة .

ج - الامبراطورية الحبشية :

منذ عصور غابرة قطنت في الحبشة أقوام شتى، نزحت اليها من كل أجزاء القارة ومن آسيا الصغرى ، واستقر بها المطاف في إثيوبيا حيث طابت لها الحياة وسط مروج الحبشة الخضراء على جوانب جبال عالية ذات أنهار جارية وأمطار غزيرة وظلال وارفة ومناخ دافئ معتدل .

وكلمة الحبشة نفسها تعنى الخليط الذى يجمعه أصل مشترك ديناً كان أو لغة أو لوناً أو جنساً .

ويرجع عهد الامبراطورية الحبشية الى سنة ٧٠٠ ق.م . وكانت عاصمتهم (أكسوم) التى قال عنها تاجر يوناني (كل العاج من بلاد أعالي النيل) .

ومن أعظم ملوك أكسوم « أزانا » الذى حكمها ٣٠٠-٣٣٠ ق.م ، وبفضله قوي شأن الامبراطورية ، وبأمره بُنيت تماثيل عالية وموجودة حتى الآن فى أكسوم القديمة .

وفي عهده أيضاً دخلت الديانة المسيحية الى الحبشة ، وتتلخص قصة دخول المسيحية الى الحبشة في أنه في عهد سيطرة الامبراطورية الرومانية على منطقة الشرق الأوسط ظهر نبي الله المسيح ابن مريم عليه السلام من بين بني اسرائيل وكان من ضمن ما دعا اليه ابن مريم عليه السلام ، التوحيد ، خلق روح المحبة فوق الأرض عن طريق المساواة والتسامح والتغاضي عن أخطاء الآخرين وعيوبهم .

فرأى زعماء بني اسرائيل أن التعامل المسيحية انما هي تقويض لأركان سيادتهم القائمة على الظلم والاستغلال والخيانة ، ومن ثم أحضروا نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام أمام والى الامبراطورية الرومانية في فلسطين ، متهمين اياه بالتآمر ضد الامبراطورية والانفصال بفلسطين ليكون ملكاً عليها ، وهناك تم اعدامه صلباً في نظر غير المسلمين . وعند المسلمين أن المسيح انتقل الى السماء بأمر ربه وأن ما قيل كان صورة

مشبهة به . وذلك استناداً الى قوله تعالى :
« وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم » .

وابتداء من حادثة المسيح هذه ، ظل المسيحيون
يُقتلون ويُعذبون في كل أنحاء الامبراطورية
الرومانية ، لأن ملوك الامبراطورية كانوا
يطلبون العبادة لأنفسهم تبعاً للتقاليد الرومانية ،
واستمر حال المسيحية على هذا المنوال حتى
اعتنقها الامبراطور غسطنطين ، وجعلها دين
الامبراطورية الرسمي .

وكانت مصر تحت احتلال الامبراطورية
الرومانية آنذاك ، ومن جهة أخرى كانت الصلات
التجارية والثقافية مستمرة بين مصر والحبشة
ومن خلال تلك الصلات سمعت بعثة تبشيرية
مسيحية في الاسكندرية أخبار الامبراطورية
الحبشية ، فسارعت بارسال رجال الدين اليها .
ومن يومها ، أى في مطلع القرن الرابع الميلادي
صارت المسيحية دين الامبراطورية الحبشية
ابتداء من عهد الملك « أزانا » عام ٣٢٥ م .

نعود الى موضوع الامبراطورية الحبشية فنقول : ان هذه الامبراطورية في تاريخها الطويل حكمها ملوك أقوياء وآخرون ضعفاء ، وشهدت قرون انحطاط وتأخر وعصور تقدم وازدهار ، وواجهت مشاكل متعددة الأسباب والنتائج .

وكل ذلك واقع في يوميات أحداث هذا البلد والموجودة في الكتب التاريخية المخصصة لهذا البلد .

وما أردت كتابي هذا سجلا ليوميات أحداث قطر معين من أقطار القارة الأفريقية .

ومن ثم فان الاكتفاء ببعض جوانب تاريخ الامبراطورية الحبشية ضرورة فرضها الهدف والحيز المعلن عنهما في مقدمة الكتاب .

وعلى كل حال ، فان في تاريخ الامبراطورية الحبشية ظاهرتين فريدتين تستحقان الوقوف والدراسة وهما :

أولا : ان الحبشة هي البلد الأفريقي الوحيد الذي احتفظ باستقلاله طوال التاريخ ولم يخضع

لسيطرة أجنبية ما عدا خمس سنوات احتلتها
إيطاليا على أكتاف جنود صوماليين في عهد
موسوليني (١٩٣٩-١٩٤٥م) .

ويرجع الفضل الى جانب مهارة ملوكها ، يرجع
الى كون الحبشة منطقة جبلية ذات هضبات عالية
ومحاطة بأحزمة جبلية تتخللها سهول شبيهة
بخطوط دفاعية متتالية فطوبوغرافية المنطقة
هي التي ساعدت الأحباش على الدفاع عن وطنهم
ضد الغزاة ، ومكنتهم من هزيمة إيطاليا في
موقعة «عدوة» الشهيرة عام ١٨٩٦م .

كما أنها ساعدتهم أيضاً على إلحاق الهزيمة
بالقوات المصرية في معركتين متلاحقتين في عامين
متتاليين (١٨٧٥-١٨٧٦ م) . وذلك في عهد
اسماعيل باشا الذى كان يرغب فى اقامة
امبراطورية أفريقية عظمى تحت زعامته ، على
ما هو معروف ومدون فى تاريخ مصر الحديث .

ثانياً : أن الامبراطورية اشتركت مع أوربا
فى تجزئة القارة الأفريقية ووسعت حدودها الى

جميع الجهات . هذه حقيقة مسجلة في كل الكتب التاريخية التي تحدثت عن المنطقة اجمالاً واسهاباً .

ولقد كان توسع الحبشة على الصومال كبيراً الى الحد أنها أى الحبشة أنكرت في المؤتمرات الدولية وجود الصومال كأمة ذات مقومات قومية كاملة بل أكثر من ذلك أنها طالبت بضم الصومال كلها اليها .

وحدث توسع الامبراطورية الحبشية على الصومال في مراحل متباعدة من الزمن . ففي المرحلة الأولى (١٤٣٤-١٤٦٧ م) تمكنت الامبراطورية الحبشية من ضم مساحات شاسعة من الأراضي الصومالية الى شرق اثيوبيا . على أن توسعها لم يتم في سكوت وسلام . اذ استجمع الصوماليون المسلمون قواهم ، وأرسلوا مدفوعين بروح وطنية ودينية متأججة جيشاً قوياً بقيادة البطل المجاهد أحمد الأعسر ، انطلق جيش المجاهدين الصوماليين من عاصمتهم هرر . وفي عام ١٥٢٩م تمت المواجهة بين القوتين في موقعة

كُتِبَ النصر فيها للصوماليين المسلمين .
فاستنجد «لبنادنغل» ، ملك الحبشة آنذاك ،
بالبرتغال ، مستغلا عطف أوروبا على الحبشة
التي ما زالوا يعتبرونها جزيرة مسيحية وسط
بحر اسلامي متلاطم الأمواج . وهذا نغم تحسن
الحبشة العزف عليه دائماً لكسب تأييد أوروبا
المسيحية .

المهم لَبَّت البرتغال نداء الحبشة ، وأرسلت
لها على عجل قوة كبيرة ذات أسلحة عصرية بقيادة
كريستوفر داغاما .

ولتفوق أسلحتها انتصرت القوات الحبشية
البرتغالية المشتركة على القوات الصومالية في
معركة دموية حاسمة استشهد فيها البطل
الصومالي الشيخ أحمد الأعسر . ومن يومها
والحبشة تستقطع الأراضي الصومالية . مديريات
فاقاليم بأكملها ، معتمدة في ذلك على مساعدات
الدول المسيحية ، ومستغلة ظروف السُّبات
العميق الذي أخذت اليه الشعوب العربية

والاسلامية بوجه عام .

غير أن التوسع الاثيوبي على الصومال بلغ ذروته في عام ١٩٥٤م اذ فيه ضمت بريطانيا الى الحبشة الجزء الغربي من الصومال الذي كان تحت الاستعمار البريطاني .

وفي ختام الكلمة عن الامبراطورية الحبشية أقول :

انك تعلم بلا شك أن الامبراطورية الاثيوبية قد سقطت مع آخر أباطرتها «هيلاتاسي» في عام ١٩٧٤م بانقلاب عسكري يحكم الحبشة اليوم تحت حماية عسكرية روسية . وتعلم أيضاً أن جبهة قومية وطنية قد تشكلت في الصومال الغربي المحتل من الحبشة وأن القتال مازال دائراً في تلك المنطقة حتى اليوم .

والغريب في الأمر أنه كلما طالبت تلك الجبهة بحق شعبها في تقرير المصير والاستقلال ، أقامت الحبشة الدنيا وأقعدتها ، متهمة الصوماليين بتعصب ديني ونوايا توسعية !!

الفصل الثاني

دور أفريقيا السوداء في الحضارة العالمية

أما وقد رأينا بعض الأمبراطوريات الأفريقية السوداء ، فمن المستحسن أن نتلمس مساهمة الشعوب الأفريقية السوداء في الحضارة العالمية فنقول :

كان للشعوب الأفريقية السوداء عاداتها الأصلية ، وتراثها القيم ، وفلسفتها في الحياة ونظرتها الى الأمور .

كل ذلك في ظل امبراطورياتها العريقة التي حققت لشعوبها حياة متحضرة آمنة ، وعمراً اقتصادياً واجتماعياً . وكان شعاع الحضارة والمعرفة ينفذ اليها من شقيقاتها في شمال أفريقيا ، كما رأينا في فصل « مصادر الحضارة في أفريقيا السوداء » .

وهذا معناه أن أفريقيا السوداء كانت في طور التلقى والتأثر والهضم ، وقبل أن تصل الى طور

الخلق والابداع ابتليت بالاستعمار الأوربي .
ولم تكن أفريقيا قط قارة مظلمة تسودها
الهمجية والوحشية ، كما يزعم ويروج بعض
كُتَّاب أوربا للتستر على الجرائم البشعة التي
ارتكبوها في حق الأفريقيين من تجزئة القارة
فيما بينهم ، ونهب ثرواتها جهراً وقهراً ، وبيع
شعوبها عبيداً في الأسواق العالمية كبضاعة
مشروعة .

فضل الاسلام والحضارة العربية

على أفريقيا السوداء :

ينبغي في بادئ ذي البدء اثبات عدة حقائق
متعلقة بهذا الموضوع منها أن الاسلام دخل الى
أفريقيا السوداء عن نفس الطريق الذي دخلت
اليها منه الحضارة أى من شمال أفريقيا عبر
الصحراء الكبرى وعبر النيل ، على النحو الذى
عرفناه في الفصل الخاص بمصدر حضارة
أفريقيا السوداء .

ومنها أيضاً أن الاسلام انتشر على نطاق واسع في أفريقيا السوداء في القرن الحادي عشر الميلادي .

ومنها أخيراً أنه وصل اليها بقوة الحجة والمنطق ، ليس بقوة السيف . فلم تكن هناك الشرق الأوسط وأسبانيا .

حقيقة أن حروباً دموية دينية وقعت بين قبائل أفريقية عديدة ، وأن الاسلام تسبب في سقوط إمبراطوريات أفريقية كما رأينا في الفصل السابق .

ولكن الفكرة المتفق عليها تاريخياً هي أن الاسلام انتشر في أفريقيا السوداء بالتى هي أحسن أى الاقناع بالحجة .

وكان الاسلام مصاحباً للاتصالات البشرية التجارية والثقافية بين أقطار القارة ، ومرة أخرى يستثنى من هذه القاعدة العامة لأفريقيا السوداء الصومال التى دخلها الاسلام في أواخر

القرن الأول الهجري مع السادة العلويين الذين
هربوا من بطش الأمويين .

هؤلاء العلويون عبروا البحر الأحمر بقواربهم
الى الصومال حيث وجدوا تربة خصبة لحياتهم
المعيشية والدينية لعروبة الصوماليين ، وشبههم
الشديد بأهل الجزيرة العربية في الكرم والمروءة ،
في الشهامة والشجاعة ، وفي العادات والملاح
الجسدية .

وعلى العموم ، فان للاسلام فضلاً عظيماً على
أفريقيا السوداء . وقد كتب عنه مؤرخون
كثيرون في مجلدات ضخمة ولا يسعنا الحيز لأكثر
من الجوانب الثلاثة التالية من ذلك الفضل العظيم
الذى شهد به أعداء الاسلام :

أولاً : الايمان بالله . قبل وصول الاسلام الى
هناك ، لم تكن الشعوب السوداء في هذه القارة
على دين فبعض الناس كانوا يعبدون الأصنام ،
وبعضهم عبدوا الشمس والقمر ، ومنهم من

عاش لا يعرف إلهاً ولا ديناً . ثم جاءهم الاسلام ، فوحدهم في العقيدة ، وأحدث فيهم نفس الثورة السياسية والاجتماعية والعقلية والدينية ، التي أحدثها في الجزيرة العربية بعد البعثة النبوية . فشعروا بالأخوة الاسلامية ذات اله واحد ، ودين واحد ، وقبلة واحدة ومن ثم ارتفعوا من مستوى الحروب القبلية التي أنهكتهم الى حد ما ، وتحرروا من آثار العصبية الجاهلية .

وأي فضل أكبر أو أعظم من العقيدة الاسلامية وما تكفله لأصحابها من الطمأنينة والأمن والسعادة .

ثانياً : المعرفة ، كما رأينا في الفصل السابق ، أن كل ملوك أمبراطوريات غرب أفريقيا استحضروا من شمال أفريقيا رجالاً متعلمين ، للاستعانة بهم كمستشارين ومدرسين . وهؤلاء العلماء أدوا لأفريقيا السوداء خدمات جليلة منها : أنهم ساعدوا الملوك في شئون الحكم والادارة ووضع القوانين والمحاكم للفصل في

قضايا الناس . وهذه كما ترى خدمات أقل
ما يوصف بها أنها جليلة حقاً . ومنها أيضاً أنهم
علّموا الناس القراءة والكتابة وتعلمذ عليهم
عدد كبير من أبناء أفريقيا السوداء الذين ساهموا
بدورهم في نشر الثقافة والمعرفة في كل أجزاء
القارة .

وواضح من هذا الكلام أن عرب شمال أفريقيا
أدخلوا الى أفريقيا السوداء نور الاسلام
وتعاليمه وحضارة العرب وتقدمها الملماني
والمادي .

بقي أن نفهم أنه لولا وحدة العقيدة بين
شمال أفريقيا وغربها لما استعان ملوك غرب
أفريقيا بعلماء شمال أفريقيا .

ثالثاً : تقديم أفريقيا الى العالم . قبل الاسلام
لم يكن العالم يعرف شيئاً ذا بال عن أفريقيا
السوداء ، ولكن حينما دخل الاسلام الى القارة
قدّم العالم الخارجي اليها ، وقدّمها الى العالم
الخارجي .

وتولد عن هذا التقديم أن تعرف العالم
الخارجي على أفريقيا السوداء بكل خيراتها من
شعوب وحيوانات وأشجار وأنهار ، ووديان
وجبال .

وكان ذلك تمهيداً للاتصالات التي حدثت
فيما بعد بين القارات الأفريقية والأوربية
والآسيوية .

من رجالات الاسلام في أفريقيا السوداء

ان الرجال الذين أفنوا حياتهم في خدمة الاسلام في هذه القارة وحملوا لواءه رغم خطورة الظروف المعاكسة ، معرضين أنفسهم للموت في كل لحظة من قبَل جهلة وثنيين حريصين على الأصنام ، وبعثات تبشيرية متآمرة ، ووحوش كاسرة في أحراش أفريقيا وأدغالها ، نقول أن هؤلاء الرجال كثيرون حقاً (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) « الأحزاب - ٢٣ » .

فَتَحِيّة متواضعة لجهودهم المشكورة ، جزاهم الله عنّا خيراً ، نتحدث فيما يلي عن رجلين منهم على سبيل المثال لا الحصر .

١ - عثمان دان فوديا :

يُعدّ عثمان هذا بطلاً من أعظم أبطال الاسلام

في غرب أفريقيا وهو ينتمى الى قبيلة تعرف تاريخياً باسم (الفلانيين) .

وكان الفلانيون في أول الأمر رحلا يتنقلون بين نهري السنغال والنيجر ، سعياً وراء المطر ، وبحثاً عن الكأ والمرعى لمواشيهم التي كانوا يعتمدون عليها في حياتهم . وانتهى المطاف الى الاقامة على ضفاف نهر نيجر وسط قبيلة هوسا .

وكان الفلانيون متفوقين في العلوم العربية والاسلامية لاختلاطهم بعرب من أصل البربر في شمال أفريقيا . وقد أعطاهم هذا التفوق قدرة على احتكار وظائف التدريس والادارة والقضاء والاستشارية . وسمحت لهم تلك المناصب نشر الدين الاسلامي وعلى نطاق واسع في نيجيريا .

كان بطلنا عثمان قائداً لتلك الجماعة المسلمة التي لها الفضل الأكبر في نشر الاسلام في منطقة غرب أفريقيا كلها .

وقد اشتغل صاحبنا أولاً في التدريس حيث اكتسب شهرة واسعة وسمعة طيبة بين سكان المنطقة ثم اتجه الى السياسة متهماً نظام الحكم بالانحراف والفساد . وما لبث أن التف حوله آلاف من المسلمين والساخطين على الحكم .

ولما قوي ساعده ، أعلنها حرباً مقدسة على ملوك هوسا ، واشتبك معهم في حروب كثيرة كُتِبَ له الفوز فيها ، وتوالت انتصاراته حتى دخل عاصمتهم غوبر ، وقتل آخر ملوكهم وأتباعه في عام ١٨٠٨م .

ثم اعتزل عثمان دان فوديا السياسة ومات سنة ١٨١٧م . معتكفاً على الكتابة والقراءة .

ويرجع الفضل في انتشار الاسلام في نيجيريا وفي غرب أفريقيا بصفة عامة الى المجاهد الكبير عثمان فوديا وجماعته ، باسم (جهاد الفلانين) .

٢ - السيد محمد عبد الله حسن :

يُعَدُّ السيد محمد بطلاً من أبطال الاسلام في

شرق أفريقيا ، وشخصية عظيمة وذات أثر كبير في تاريخ الصومال بصفة خاصة . وأنت تجده في التاريخ الذى كتبه الأوربيون عن شرق أفريقيا تجده تحت عنوان (محمد المجنون) لكفاحه المستميت ضدهم وكراهيتهم الشديدة له .

وتتلخص قصة حياة السيد محمد فى أنه ولد عام ١٨٥٦م فى الاقليم الشمالى من الجمهورية الصومالية .

ونشأ نشأة دينية اذ حفظ القرآن وهو مايزال صبياً ، ثم تتلمذ على رجال الدين ، وحضر مجالس العلماء حيث تعلم قدراً لا بأس به من العلوم الاسلاميه والعربية ، وفى عام ١٨٩٢م سافر الى مكة المكرمة لطلب العلم وأداء فريضة الحج . ومكث بها ثلاث سنوات تفقه فيها فى العلوم الاسلاميه والعربية ، كما تعرّف على المذاهب السياسية التى كانت تجتاح العالم الاسلامى لمواجهة الاستعمار الأوروبى ، المتفوق علمياً وعسكرياً والذى أخذ يُحكّم سيطرته

الكاملة على شعوب أفريقيا وآسيا . وعاد السيد محمد الى الوطن مُحمّلاً بتلك الأفكار سنة ١٨٩٥م .

وعلى الفور فوجيء الشيخ بأمرين غيرا مجرى حياته ، وتركاً آثاراً عميقة على نفسيته :

أولهما : أن السلطات البريطانية التي كانت تحكم الجزء الشمالي من الصومال طالبتّه بدفع ضريبة الرأس المفروضة على كل مواطن ، فاقشعر بدنه ، وأحس بمرارة شديدة ، معتبراً ذلك طعنة قوية في صميم قوميته وانسانيته ، اذ كيف يتسنى له دفع ضريبة على أرضه ؟ ..

وثانيهما : أنه لاحظ أن هناك بعثات تبشيرية كثيرة في الوطن ، وهي تحاول بكل السبل والوسائل نشر المسيحية في الصومال .

وذات يوم سأل السيد محمد مجموعة من الأطفال الصوماليين في مدرسة تبشيرية سألهم قائلاً : « أنتم أولا من يا أبنائي ؟ » فردوا عليه

« أولاد الأب يا عمنا » قاصدين الراهب الذى يطلق عليه الأب فى الديانة المسيحية .

عندئذ فتح السيد محمد عينيه على فاجعة بلده وأيقن أن الكارثة محققة (لا وطن ولا دين) .

ثم توصل الى حقيقة أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لانقاذ الوطن والدين .

فقام فى المدن فى أول الأمر داعياً الى الدفاع عن الوطن والدين ، ومبصراً الناس بالخطر الداهم عليهم . ولما لم يجديه الجدل الدينى والمناقشات المنطقية ، قرر الانتقال الى البادية للقيام بالعمل الحربي . فكُون أول جيش من الدراويش (اسمه جيشه فى عام ١٨٩٩ م) .

وفى نفس هذا العام أدرك الانكليز خطورة هذا الرجل فكراً وعملاً ، وأرسلوا اليه حملة عسكرية لاطفاء شعلة الحرية والايمان التى يحملها السيد محمد . والتقى الجيشان فى معركة

دموية انتهت بهزيمة القوات الانكليزية واستيلاء
الدرأويش على أسلحتها .

غير أن الرصاصة التي أطلقت في تلك السنة
(١٨٩٩م) ، استمرت واحداً وعشرين عاماً .

خصائص حروب السيد محمد عبد الله :

لم تكن حروب السيد محمد على نمط حرب
العصابات ، ولم تكن محصورة في اقليم بذاته
من الوطن . بل كانت حروباً عامة شملت كل
أنحاء الصومال فكراً وعملاً كما ارتد لهيبها الى
بقية أقطار شرق أفريقيا .

وذلك لأن السيد محمد ما أن أعلنها حرباً
مقدسة دينية ووطنية ضارية حتى التف حوله
مئات الآلاف من الصوماليين المقاتلين الشجعان .
مما مكّنه من خوض معارك دموية في ثلاث
جبهات متباعدة مع ثلاث قوات مختلفة الجنسية ،
أى مع الانكليز في الشمال ، ومع الحبشة في
الغرب وايطاليا في الجنوب .

وقد بلغ السيد محمد من القوة والتنظيم الى حدّ أنه استطاع أن يصمد في الجبهات الثلاثة احدى وعشرين عاماً ، وبل أن ينتصر على تلك الجيوش الثلاثة في معظم المواقع الحربية ، مبيداً فيها جنوداً وقادة من جيش بريطانيا خلّدهم التاريخ الانجليزي .

ثم أيقن الانكليز أن الانتصار على الدراويش في حرب برية أمر محال ، فلجأوا الى سلاحهم الجوي الذي ظل يقصف مراكز جيش الدراويش حتى دمر فيها كل نفس ونفيس . وكان ذلك نهاية مؤسسة لجيش المجاهد البطل السيد محمد عبد الله في عام ١٩٢١ م .

والتاريخ يذكر أن الصومال كانت اول بلد أفريقي يستخدم ضدّه سلاح الطيران لاختضاعه .

مآثره في الصومال :

إذا سألت شخصاً صومالياً عن فلاسفة الصومال وشعرائها وحكمائها ودعاة استقلالها .

فانه سوف يشير ، وبلا أدنى تردد الى السيد محمد عبد الله . لأنه - أى السيد محمد - يأتى فى المقدمة فى تلك الميادين كلها ، وله الصدارة فى كل هذه الصفات فى نظر الصوماليين .

ذلك لأنه الى جانب دفاعه المُشرف عن الوطن والدين ، ترك تراثاً ثقافياً عظيم الأثر والتأثير على الصوماليين ، وملاحم شعرية قيمة تعد حتى الآن مثل الصومال العليا فى الدينيات والوطنيات والأخلاقيات .

واذا كان تاريخ كل أمة عبارة عن حلقات متصلة من الكفاح ، كل حلقة منها ناتجة عن التى قبلها ، ومؤدية بالضرورة الى التى بعدها .. اذا كان هذا صحيحاً .. فان الصوماليين يرون أن حركة المطالبة بالاستقلال التى نشأت فى الصومال عام ١٩٤٣م ، انما هي نتيجة لحركة السيد محمد عبد الله ، أى ترتبت عليها واستمدت منها مبادئها وقوتها الروحية والفكرية .

الفصل الثالث

أفريقيـا

من القرن ١٥ الى القرن ١٩

ستكون دراستنا لأفريقيا السوداء ابتداء من القرن الخامس عشر من خلال علاقتها بأوربا .. وذلك لأهمية أحداث العلاقات الأفريقية الأوربية ، وأثرها على حياة الشعوب الأفريقية فنقول :

قبل مجيء الأوربي كان لأفريقيا امبراطوريات عريقة وأنظمة للحكم ، وطرق للمعاملات بين الناس ، واكتفاء ذاتي في المعيشة .

وكانت حياتهم بسيطة تمتاز بالهدوء والأمن وراحة البال ، بيد أن القارة كانت معزولة عن الحضارة التي كانت تفور في أوربا آنذاك .. إلا بصيصاً ظل ينفذ اليها من شمال أفريقيا ، ثم وصل الأوربي الى القارة ، واستقبلَ بدهشة واستغراب مصحوبين بالشك والخوف . وتم

التفاهم بلفة الأصابع ، واتفق على أن يمكث
ضيفاً في فترة وجيزة يتبادل خلالها المنفعة مع
الأفريقيين .

كان ذلك بداية لاتصال أوربا بأفريقيا
السوداء في منتصف القرن الخامس عشر .

وتجدر الإشارة الى أن أوربا كانت على جهل
تام بأفريقيا السوداء قبل هذا التاريخ ، ولكنها
استطاعت الكشف عن القارة الأفريقية في منتصف
القرن الخامس عشر لسببين رئيسيين :

أولهما : أن أوربا كانت تعيش في عصر
القوميات ، وكانت كل دولة منها تعمل على تحقيق
انجازات عظيمة لشعبها عن طريق التجارة
الخارجية والبحث عن خيرات في بقاع مجهولة من
العالم ، لا سيما وأن الدول الأوروبية كانت قد
قطعت شوطاً في بناء اقتصادياتها وقوتها
العسكرية .

وثانيهما : أن الدول الأوروبية كانت قد

تمكنت من ادخال تحسينات جذرية على بناء سفنها وجعلها قادرة على التمكنر في البحار تحت كل الظروف الجوية المعاكسة وكان هدف الأوربيين في أول الأمر محصوراً في العثور على منفذ الى التجارة مع الشرق البعيد ، تلك التجارة كانت محتكرة للعالم الاسلامي قبل ذلك .

غير أن أوربا في سبيل بحثها عن الطريق الى الشرق اصطدمت بجبلين من ذهب بشرائها بالخير، وغيراً كل مخططاتها ، وأعنى بها أفريقيا وأمريكا . وكانت البرتغال طليعة الدول الأوربية في هذا المجال ، اذ كان في خدماتها فاسكو داغاما مكتشف طريق رأس الرجاء الصالح ١٤٤١ م .

وعلى العموم ، فقد صار في الامكان استخلاص أربع ملاحظات تاريخية هامة من العلاقات الأفريقية الأوربية خلال القرون الأربعة أي من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر .

أولا : لم تكن العلاقات الأفريقية الأوربية رسمية ، أى على مستوى الحكومات ، خلال تلك المرحلة الطويلة (١٤٤١ - ١٨٠٠ م) .

وبالتالى لم تكن لتلك العلاقات أهمية عسكرية أو اقتصادية أو سياسية ، ماعدا ميدان تجارة العبيد .

وكانت مسئولية التعامل مع الأفريقيين ملقاة على عاتق الشركات التجارية التى حصرت نشاطها أولا فى محطات التموين والمراكز التجارية على المناطق الساحلية ، ثم أخذت توسع دائرة نفوذها الاقتصادي فى المناطق المتاخمة لشواطئ البحار . وهذه الشركات بعملها هذا .. هي التى مهّدت الطريق للاحتلال الاستعماري فى المراحل التالية فى العلاقات الأوربية الأفريقية . وقد اكتفت أوربا فى علاقتها بأفريقيا قبل القرن التاسع عشر بالرحلات التجارية المثلثة الشكل . بمعنى أن سفنها كانت تصل الى أفريقيا محملة ببضائع

يرغب فيها الأفريقيون ، ثم تغادر أفريقيا محملة بالعبيد الى الأمريكتين . ومن أمريكا تتجه صوب أوربا حاملة القطن والسكر والتبغ والذهب وغيرها من السلع المربحة في أوربا .

ثانياً : بما أن نشاط الأوربيين كان مقصوراً على شواطئ أفريقيا وموانئها طوال القرون الأربعة السابقة للقرن التاسع عشر ، فإن أهل السواحل تحضروا الى حد ما .. قبل غيرهم ، وتطبعوا بطابع الحياة الأوربية ، وافتتحوا لأنفسهم أسواقاً تجارية محلية ودكاكين ، كما صاروا يلعبون دور الوسيط بين الشركات الأجنبية وبين بقية الشعوب المقيمة في الأماكن النائية عن الشواطئ .

واكتسبوا من وراء ذلك تفتحاً حضارياً ، ووعياً سياسياً ، وفكرة واسعة عن العالم الخارجي . وما زالت لهم تلك الميزة حتى الآن بالقياس الى أهل المدن الداخلية البعيدة عن السواحل والموانئ .

ثالثاً : الملاحظة الثالثة حول العلاقات الأفريقية والأوربية قبل القرن التاسع عشر .. وهي أن أحداً من الأوربيين لم يتوغل داخل أفريقيا ليقدّم للقارة الأوربية صورة واضحة عن أسرار أفريقيا ودخائلها، أنهارها وبحيراتها، وجبالها ووديانها ، غاباتها وشعوبها .

وقد فسر السبب في جهل أوربا التام بأفريقيا قبل القرن التاسع عشر بالحواجز الجغرافية التي تمتاز بها أفريقيا من صحراوات شاسعة ، وغابات كثيفة ، وأنهار غير صالحة للملاحة .

بالإضافة الى عدم حاجتهم الى مغامرات مجهولة المصير من النوع الذي يتطلبه الكشف عن أسرار أفريقيا ، كما سنرى في المرحلة ما بعد القرن التاسع عشر .

على أننا لا ننسى ما رأيناه في بداية هذا الفصل وهو عدم صلاحية السفن الأوربية للقيام برحلات تجارية أو علمية طويلة الأمد قبل منتصف القرن الخامس عشر .

والدليل على صحة هذه الحقيقة التاريخية هو
أن كل الاستكشافات التاريخية الهامة التي قام
بها الأوروبيون داخل أفريقيا .. انما تمت في
القرن التاسع عشر .

فمنبع نهر النيجر العظيم ومصدره ..
اكتشفهما عالم الجغرافيا البريطاني (بيكر)
الذى مات فيه غرقاً عام ١٨٠٥ م . ومن بعده
وضع المستكشف الجليل (كلابر) خريطة النهر
التفصيلية . ومعلوم أن نهر النيجر كان في نظر
الأوروبيين لغزاً احتاروا في حلّه . وكذلك نهر
النيل العظيم ظل سراً غامضاً على الأوروبيين
وقد لجأوا في تفسير منبعه الى الخرافات والأساطير ،
حتى كشف عنه النقاب عالما الجغرافيا البريطانيان
(استيك وبيكر) اثر رحلتين علميتين قاما بها
فى العامين ١٨٦٠ - ١٨٦٢ م ، وأثبتا فيهما
للعالم أن النيل الأبيض ينبع من البحيرتين
الكبيرتين فكتوريا وألبرت فى أوغندا .

وحتى الجبال العالية مثل كينيا وكليمانجارو ،
اكتشفها المبشر الألماني (ريمان) عام ١٨٤٧ م .

وما لنا نذهب بعيداً وعندنا السيد (ليفينج
استون) عالم الجغرافيا البريطاني الذي غير
خريطة أفريقيا لدى أوربا ، والذي يُعد بحق
أعظم المستكشفين الأوربيين شأناً في أفريقيا ،
وأكثرهم تجوالاً داخل أفريقيا .

فقد سافر على أغلب أنهار القارة الأفريقية ،
وصعد على معظم جبالها الشاهقة ومر بصحاريها
الشاسعة، مُبشراً بالمسيحية ومُحارباً ضد تجارة
العبيد ، ومسجلاً كل ملاحظاته في كتاب أسماء
(سفريات المُبشرين وأبحاثهم) .

قام السيد (ليفينج استون) هذا بثلاث
رحلات علمية داخل أفريقيا ، استغرقت ٣٢
عاماً الاّ شهوراً (١٨٤١م-١٨٧٣م) وفي نفس
هذا العام الأخير مات في أفريقيا ، كل هذا يؤكد
صحة الحقيقة التاريخية القائلة بأن أفريقيا

السوداء كانت مجهولة لدى أوربا قبل منتصف القرن الخامس عشر .

رابعا : الحقيقة الرابعة والمستفادة من العلاقات الأوروبية الأفريقية قبل القرن التاسع عشر هي أن معظم الأوروبيين أتوا الى أفريقيا في اول الأمر كلكوص قتلة ، باحثين عن النهب والسلب ، ولكنهم لجأوا الى السلم والصدقة في نهاية الأمر .

لكنهم واجهوا مقاومة شعبية عنيفة ومستميتة، فرضت عليهم خضوعاً لشروط زعماء أفريقيا . فهم لم يفلحوا في اخضاع أفريقيا بقوة السلاح كما فعلوا في الأمريكتين ضد الهنود الحمر ، ومن ثم دخلوا القارة تحت شعارات الصداقة والوصاية والحماية والمعاهدة ، وغيرها من الأساليب السياسية الاستعمارية التقليدية والمعروفة لدى الجميع .

١ - تجارة العبيد :

الواقع أن مسألة اعتبار بعض الناس عبيداً

نظام اجتماعي قديم في كلِّ المجتمعات الانسانية
نتيجة للأسر في الحروب أو عقاباً لذنوب معينة .

غير أنها صادفت هذه المرة عملية تجارية
مربحة بعد أن كانت علاقة اجتماعية . وكانت
البرتغال أول دولة أوروبية تستورد عبيداً من
أفريقيا ، فبعثة ملك البرتغال هنري الملاح التي
أرسلها للكشف عن طريق الى الشرق عادت ومعها
١٢ عبداً ثم واصلت البرتغال استيراد الأفريقيين
الذين اصطلح على تسميتهم عبيداً ، ظلماً
وقهراً وغصباً .

اكتشف فاسكو دغاما طريق رأس الرجاء
الصالح المؤدّي الى الشرق سنة ١٤٤٦ م .
وباكتشاف هذا الطريق تحقق أمل البرتغال في
التجارة مع الشرق ، وعليه توقفت مؤقتاً عن
تجارة العبيد ، لقلة أرباحها بالقياس الى
الفوائد الجمة التي تعود عليها من تجارتها مع
الشرق .

ولكن اذا كان اكتشاف دغاما لطريق رأس

الرجاء الصالح عاملا مساعداً على وقف تجارة العبيد ، فان اكتشاف كريستوفر كولمبوس للأمريكتين عام ١٤٩٢م . كان بمثابة دعوة صريحة الى ممارسة التجارة القذرة وعلى نطاق واسع .

ذلك لأن التنقيب عن مناجم الذهب في الأمريكتين والعمل فوق مزارع القطن والسكر والتبغ الشاسعة هناك ، تطلب كل ذلك أعداداً هائلة من العمال الأقوياء .

ولم يكن في استطاعة البرتغال وأسبانيا وهما صاحبتا المستعمرات الكبيرة في الأمريكتين آنذاك تقديم العمالة اللازمة لتطوير مستعمراتهما . فلاح الأمل في أفريقيا .

ثم حذت فرنسا وبريطانيا حذو البرتغال وأسبانيا وكان ذلك بداية رسمية لتجارة العبيد القذرة التي اشتركت فيها معظم الحكومات الأوروبية وشعوبها . ولم تعد تجارة العبيد بعد ذلك عملية سرية تتم خفية في جنح الليل ، بل صارت تجارة

منظمة ذات مصالح حكومية وموظفين مختصين ،
ومقاولين محتكرين وقلاع محصنة لحفظ العبيد
قبل تصديرهم . وقد وقع سوء الحظ على شعوب
غرب أفريقيا وموزمبيق وأنجولا جنوباً وزنجبار
شرقاً . وهي البلدان ، التي كان يُصدّر منها
العبيد . وهذا لا يعنى أن الشعوب الأفريقية
الأخرى سَلِمَت من شرور اختطاف أبنائها
ليبيعهم عبيداً في الأسواق العالمية .

على أن هناك ظاهرتين ملفتتين للنظر في دراسة
تاريخ تجارة العبيد وهما :

أولاً : أن الدول الأوروبية المعنية بأمر هذه
التجارة الملعونة تنافست بينها واختلفت حول
أسهمها في الفنائم البشرية ، وانتهى بها التنافس
الى توقيع معاهدة تحدّد أسهم كل دولة في التجارة
القذرة عام ١٧١٣م . وكان لبريطانيا نصيب
الأسد اذ حصلت على نصف عدد العبيد المصدرين
وتلتها فرنسا فالبرتغال من حيث نسبة الأسهم ،
والحقّ أنه اذا أضيفت هذه المعاهدة الخاصة

بتقسيم أبناء أفريقيا كعبيد الى اتفاقية الدول الأوروبية حول تجزئة القارة الأفريقية فيما بينها في مؤتمر برلين عام ١٨٨٤م ، يكون تاريخ أوربا في حاجة الى كلمة أقوى وأقرب الى العدل من كلمة الجريمة أو الظلم كما يقال غالباً .

ثانياً : الظاهرة الثانية هي أنه لم يكن في استطاعة ملوك ورؤساء القبائل في أفريقيا ، وفق تجارة العبيد لعدم الموافقة فيما بينهم من جهة ، ولحاجتهم الى الأسلحة النارية التي يحضرها الرجل الأوروبي بمقابل العبيد فقط . وكانت الأسلحة النارية ضرورية لزعماء قبائل أفريقيا للدفاع عن سلطتهم وسيادتهم وأقوامهم .

ب - حظر تجارة العبيد :

ابتدأت حركة محاربة التجارة القذرة في لندن عام ١٧٧٢م بدعوة من موظف بريطاني يدعى جرنفيل شاربي . وكان جرنفيل هذا صاحب قلب طيب وجرأة كبيرة ، درس جوانب القضية

الاجتماعية والاقتصادية والانسانية والقانونية،
ثم أثبت بأدلة قاطعة آثامها الدينية وأضرارها
بكل الأطراف المعنية وعدم فائدتها اقتصادياً .

وقد أثمرت جهود السيد جرانفيل باصدار
قانون الحظر على تجارة العبيد في بريطانيا عام
١٧٧٢م وكانت الخطوة الثانية تتركز في محاولة
منع التجارة الملعونة في كل أنحاء الامبراطورية
البريطانية وقد حمل لواء الكفاح في هذه المرحلة
رجل يقترن اسمه بحركة حظر التجارة القذرة
ألا وهو وليم ويلبر فورس الذي استطاع بحكم
منصبه كنائب في البرلمان من أسرة استقراطية
غنية وبفضل موهبته الخطابية و صداقته الحميمة
مع رئيس الوزراء ، استطاع بفضل هذه الصفات
كلها تسليط أضواء كاشفة على القضية وجعلها
مشكلة الساعة أمام الرأي العام البريطاني
والبرلمان على السواء .

وقد أثمرت الحملات الفكرية والدينية
والانسانية التي قادها السيد وليم ضد التجارة

الملعونة باصدار البرلمان البريطاني عدة تشريعات مانعة لممارسة التجارة القذرة في كل أنحاء الامبراطورية . وقد أصدرت تلك القوانين في الأعوام ١٧٨٨-١٨٠٧-١٨٣٣م مع تخصيص مبلغ عشرين ألف مليون جنيه كتعويض لأصحاب العبيد .

وعلى الرغم من أن القوانين التي أصدرتها الحكومة البريطانية كانت مقصورة على حدود امبراطوريتها فان تأثيرها على الدول الأوربية الأخرى كان عظيماً لسببين :

أولهما : أن الدعوة الانسانية التي قامت في بريطانيا وجدت صدى طيباً في النفوس الطيبة في الأقطار الأوربية الأخرى . فقد انبرى عدد كبير من مفكريها ورجال الدين للكتابة عن القضية وابرازها في صورة جريمة انسانية ودينية بشعة .

وثانيهما : أن بريطانيا التي حرمت التجارة الملعونة في كل أراضى امبراطوريتها متنازلة في

ذلك عن أرباح مالية هائلة كرهت رؤية انفراد الدول الأخرى بالفوائد في هذا المجال .

وبناء عليه دخلت بريطانيا مع تلك الدول في مفاوضات مضنية أدت الى اتفاقية كل من بريطانيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال على حظر تجارة العبيد .

كان ذلك نظرياً ، ولكنه عملياً كان من العسير بمكان تنفيذ قوانين حظر تجارة العبيد ، لكونها تجارة مربحة من جهة ، ولاعتماد معظم الأوربيين على عمل العبيد من جهة أخرى .

وكان ثمة عامل ثالث جعل قوانين حظر التجارة الملعونة جبراً على ورق ، وهو اتساع المساحة التي كان يجرى فوقها العمل المحظور ، ولذا فان قانون تجريم تجارة العبيد القذرة واجه معارضة قوية ومستميتة منذ بدايته . وظل يتأرجح بين نجاح في مكان ، واخلق في أماكن أخرى طيلة أربع قرون ونصف القرن حتى توقف نهائياً في مطلع القرن العشرين بفضل جهود دعاة

الانسانية ونتيجة لارتفاع وعي الرأي العام العالمي والأفريقي .

وبعدها عاد السلام الى القارة الأفريقية ،
فتفتحت النفوس للعمل ، ونشطت الهمم للبناء
والتعمير وكان ذلك بداية عصر جديد في التاريخ
الأفريقي .

ج - آثار تجارة العبيد على أفريقيا :

الحق أن النتائج السيئة لتجارة العبيد القدرة
كثيرة جداً كما أن آثارها السلبية على أفريقيا
السوداء غير قابلة للحصر . ومع ذلك فلا مانع من
أن نتناول فيما يأتي ثلاثة جوانب من الآثار
السيئة للتجارة الملعونة بالنسبة لأفريقيا
السوداء :

أولاً : قيام حروب دموية ابادية بين القبائل
الأفريقية بحثاً عن الأسر أو دفاعاً ضده . فمن
المعلوم تاريخياً أن الأوروبيين كانوا يأسرون العبيد
بأنفسهم في أغلب الأحوال ، بل كانوا يقدمون

بضائع وأسلحة نارية الى رؤساء القبائل مقابل عبيد بأسعار محدودة . وبما أن ثراء رؤساء القبائل وأتباعهم يتوقف على عدد العبيد في حوزتهم فانه ليس من العسير على عقولنا ادراك المآسى البشرية التى يمكن حدوثها فى بلد صار الأسر فيه حرفة رئيسية للمعيشة اليومية .

واذا كان عدد العبيد الذين وصلوا الى الأمريكتين أحياء قد بلغ خمسة عشر مليوناً بحسب الاحصاءات الرسمية التى سجلها تجار العبيد والمكاتب التابعة لهم ، فانه ليس من العسير على أذهاننا أيضاً تصور عدد الذين قتلوا فى ميادين المقاومة أو فى قلاع الحشد اختناقاً وضرباً ، وكذا الذين ماتوا فى عرض البحار برداً وجوعاً . وترتب على تلك الحروب فوضى شاملة فى الحياة الأفريقية ، وانعدام الأمن والسلام اللازمين للعمل الصالح والتطور الطبيعى .

ثانياً : تحطيم اقتصاديات القارة بأخذ الملايين من شبابها الأقوياء وأصحاب المهن من

جهة ، وهجرة بعض القبائل العريقة عن مدنها المعمورة ، هرباً من الأسر ، وعودتها الى الحياة البدائية على أرض جديدة ووعرة من جهة أخرى .
وهذه الأمور في جملتها أضعفت القارة ، ومزقت وحدتها وجعلتها لقمة سائغة للاحتلال فيما بعد .

ثالثاً : كان لتجارة العبيد ومازال تأثير نفسى سييء على الأفريقيين والأوربيين فهي تعنى بالنسبة للأفريقيين طعنة قوية فى صميم انسانياتهم ذهبت بكبريائهم واعتزازهم الذاتى . ثم ان صورة أجدادهم وهم مكبلون بالسلاسل والحديد فى حصون تعسكرهم أولاً وبيعهم فى مزاد علني فى الأسواق العالمية ثانية ، هذه الصورة بأحزانها وأشجانها مازالت تمر حتى الآن بخاطر الأفريقيين .

ومن وجهة نظر الأوربيين ، فان العقلاء منهم يعتبرون تجارة العبيد جريمة تاريخية مضت

بلا رجعة ، ويكفيهم كفارة لها أنهم عملوا على وقفها .

وغير أن سفهاءهم ، وما أكثرهم ، يعتبرون تجارة العبيد وثيقة تاريخية تشهد بتأخر الانسان الأفريقي بالفطرة ، وبالتالي يكيلون له كل الشتائم .

أسباب احتلال أفريقيا

في القرن التاسع عشر

كما تعلم ان سيطرة أوربا على أفريقيا تمت خلال القرن التاسع عشر على الرغم من أن العلاقات الأوربية الأفريقية ابتدأت في القرن الخامس عشر ، كما رأينا في الفصل السابق .

فلماذا حدث الاحتلال في هذا القرن بالذات .

الواقع أن فهم هذا السؤال يكمن في دراسة تاريخ أوربا نفسها أكثر من تاريخ أفريقيا .

والسبب هو أن فروقا هائلة قد حدثت بين شعوب القارتين في أوجه الحياة المختلفة في مطلع القرن التاسع عشر ، نتيجة لنشوة الصناعة التي محت المستحيل من قاموس الأوربيين وجعلت أحلامهم حقيقة ملموسة . قبل هذه الثورة الصناعية كانت حياة شعوب القارتين بسيطة

ومتقاربة الى أبعد الحدود ، لاعتماد شعوب القارتين على زراعة متأخرة تنتج كل أسرة لنفسها بما فيه الكفاية من الحبوب الغذائية .

وبناء عليه لم تكن لدى الأوربيين حاجة ماسة للسيطرة على القارة الأفريقية بأكملها .

وكان نشاط الأوربيين قبل القرن التاسع عشر في القارة الأفريقية مقصوراً على مراكزهم التجارية والتموينية المنتشرة على طول شواطئ القارة الأفريقية .

بالاضافة الى الهجرات الجماعية التي قام بها الأوربيون في تلك المرحلة للاستيطان في أية بقعة تروق لهم في العالم .

وما الأمريكتان وأستراليا وجنوب أفريقيا الا نتيجة لحركة الاستيطان الواسعة النطاق التي قام بها الأوربيون في المرحلة التاريخية الواقعة بين منتصف القرن الخامس عشر ومطلع القرن التاسع عشر .

ولكي نفهم أن الثورة الصناعية كانت السبب الرئيسي الذى دفع الأوربيين الى السيطرة الكاملة على القارة الأفريقية ينبغى أن نلقى نظرة سريعة على حياة شعوب القارتين فى تلك المرحلة التاريخية فنقول :

أولا - الحياة الأفريقية :

على الرغم من بساطة حياة الأفريقيين وتأخرها بمقياس الحضارة الحديثة فإنه كان لديهم اكتفاء ذاتي فى الطعام واللباس والسكن فى القرن التاسع عشر .

فبالنسبة للطعام فإن الأفريقيين كانوا ينتجون محاصيل زراعية كافية لهم وكان كل أفراد الأسرة القادرين يزاولون العمل الزراعي بأنفسهم حتى وإن قاموا بمهن أخرى فى أوقات فراغهم كالنحت والرسم والزخرفة وكان بعضهم رعاة يعتمدون فى حياتهم على المواشى ، يشربون ألبانها ويأكلون لحومها ، وبخصوص اللباس فإن

أهل الحضر كانوا يلبسون ملابس مصنوعة محلياً
أو مستوردة من الخارج بمقابل الذهب والعاج
والكتّان .

وكان يشاركونهم في هذا أهل البوادي القريبة
من المدن . أما سكان البوادي البعيدة التوغل في
الغابات فإن ملابسهم كانت مصنوعة محلياً من
الجلود وأغصان الأشجار .

أما من حيث السكن فإن أهل المدن كانوا
يقيمون في بيوت جميلة ومبنية من مواد متوفرة
محلياً أى من الطين والخشب والأحجار .

ثانياً - الحياة الأوربية :

كانت حياة الأوربيين قبل القرن التاسع عشر
شبيهة بحياة الأفريقيين من حيث البساطة
والاكتفاء الذاتي في المأكل والملبس والسكن .

غير أن الثورة الصناعية أحدثت في حياة
الأوربيين الأمور التالية :

١ - أن الثورة الصناعية تسببت في هجرة جماعية من المزارع الى المصانع لارتفاع الأجور وقلة ساعات العمل في الشركات الصناعية بالقياس الى العمل في المزارع .

وترتب على تلك الهجرات الجماعية أن العدد القليل الذي بقي في المزارع لم يعد قادراً على انتاج طعام كاف لسكان البلدان الأوربية ، وعلى الرغم من استعانتهم بالوسائل العلمية الزراعية من آلات وأدوية .

فصار لزاماً على الأوربيين أن يستوردوا من الخارج واحداً من أهم مقومات الحياة وهو الطعام .

٢ - ونظراً لأن الثورة الصناعية غيرت الحياة العقلية والاقتصادية والاجتماعية عند الأوربيين انهم جعلوا من ضروريات حياتهم الحصول على ملابس قطنية وصوفية راقية ، والسكن في بيوت جميلة مريحة ومبنية من خشب وحديد وأسمنت فواجهتهم أيضاً مشكلة أن

الصوف والقطن وكذا مواد البناء غير موجودة بالكمية المطلوبة في أقطارهم .

فصار لزماً عليهم استيراد كل ذلك من الخارج .

٣ - وثمة حقيقة ثالثة وعلى درجة كبيرة من الأهمية وهي أن الثورة الصناعية جعلت المصانع قادرة على انتاج أكبر كميات ممكنة من البضائع في أقصر وقت ممكن . كما أنها خلقت مواصلات حديثة وحدت العالم سلباً وإيجاباً ، وألغت عامل بُعد المسافات من حساب الناس .

الاكتشاف الخطير :

واضح مما سبق أنه كان لدى الأوربيين في مطلع القرن التاسع عشر حاجة ماسة الى خيرات أفريقيا ورغبة قوية في احتلالها ، وقدرة مادية على تنفيذ ارادتهم .

وذلك بعد أن اكتشفوا بصورة قاطعة ، أن كل الأشياء التي يحتاجونها كطعام لأنفسهم أو المواد الخام لمصانعهم متوفرة في أفريقيا وبكميات

لا حدود لها .

يضاف الى ذلك اكتشاف آخر لا يقل خطورة في العلاقات الأوروبية الأفريقية عن الذى سبقت الإشارة اليه ، وأعنى به أنهم أدركوا حقيقة أن الأفريقيين على استعداد تام لشراء المنتجات المصنعة في أوربا .

وكان ذلك كله نقطة التحول الرئيسية في العلاقات الأوروبية الأفريقية ، وبداية للسيطرة الكاملة على أفريقيا كمصدر للمواد الخام ، وسوق المنتجات . ومن هنا كان التنافس بين الدول الأوروبية حول القارة الأفريقية شديداً ، ارتفعت درجة حرارته أحياناً الى حد مواجهة دموية بين الدول المتنازعة على خيرات أفريقيا .

وقد انتهى بهم أمر التنافس الى تجزئة القارة وتقسيمها فيما بينهم في مؤتمر برلين التاريخي عام ١٨٨٤م .

والحق أن هذه الحقائق التاريخية هي التى

تساعد المرء على فهم عبارة الدكتور كوامي
تكروما ومن دعاة تحرر أفريقيا ورئيس غانا
الأسبق - قال : (الاستعمار والحرية كلاهما
حقيقة اقتصادية) .

آثار الاحتلال على أفريقيا :

ينبغي أن نأخذ في الاعتبار قبل كل شيء أن
العلاقات الأوربية الأفريقية لم تكن طيبة إذ أنها
بدأت بتجارة العبيد ، ومرت بمرحلة السيطرة
الكاملة على القارة ، وانتهت بالكفاح المؤدي الى
الاستقلال .

الا أنه على الرغم من أن العلاقة بين الأوربي
والأفريقي كانت علاقة السيد بالعبد . فان
شعور كل منهما تجاه الآخر كان في تغير مستمر
تبعاً لتغير الظروف والعصور . فقد تخاصما
وتضاربا ، اختلطا وتصارعا ، عملا معاً وعاشا
سويّاً .

ومن خلال ذلك الاحتكاك المباشر في السلم

والحرب ، فى العمل والعيش ، ومن خلال المخالطة
والمصاهرة الانسانية حملت القارة الأفريقية
توأمين :

أولهما : الحضارة الأوربية علماً وعادات ،
عملاً وفكراً .

وثانيهما : الحرية التى ظلت مضفة طوال
المرحلة السابقة للحرب العالمية الأولى ثم صارت
كائناً حياً فى بطن القارة فى الفترة ما بين الحربين ،
فوليداً معتلاً ذا عاهات عديدة بعد الحرب العالمية
الثانية كما سنرى فى فصل مشاكل ما بعد
الاستقلال .

ثم ان تأثير الاستعمار الأوربي على أفريقيا
يختلف من قطر الى قطر آخر ، ومن إقليم الى
إقليم آخر داخل بلد واحد ، نتيجة لاختلاف
الوسائل التى طبقتها الأوربية فى تنفيذ سياساتها
من جهة . وتبعاً لموقف كل قطر أو إقليم من قوات
الاحتلال قبولاً أو رفضاً .

وعلى العموم ، فإن الاستعمار الأوربي قد تسبب في سقوط امبراطوريات أفريقية ، وقيام طبقات جديدة وأنظمة للحكم على أنقاضها .

فالمعلوم تاريخياً أن الطبقات الأفريقية التي قبلت الاحتلال وتعاونت معه ، وعملت كوسيط بينه وبين الشعب تلك الطبقات استفادت منه ، وتمتعت بامتيازات عديدة . فكان منها الكتبة ورجال الأمن والمترجمون الذين لعبوا دوراً هاماً في الحياة الأفريقية في عصور الاحتلال لترجمتهم الأمور على هواهم ووفقاً لمصالحهم .

وكانت امتيازات الطبقة المتعاونة مع الاستعمار على حساب الطبقات الأخرى من الشعب التي رفضت الاحتلال وقاومته وطنية منها وكراهية لظلمه .

والواقع أن الطبقات المعارضة للاستعمار في كل البلدان الأفريقية واجهت كل أنواع الظلم والوحشية من تعذيب وابادة جماعية ونفي ومصادرة أموال وقد استمرت حياة هاتين

الطبقتين على هذا المنوال طوال فترة الاحتلال أى الطبقة المتعاونة مع الاحتلال فى تقدم مضطرد اقتصادياً وثقافياً والفئات الوطنية العارضة فى تأخر دائم تحت حياة المطاردة والتشريد وجلب الأموال .

وكان من سوء حظ أفريقيا أن أمرها بعد الاستقلال آل الى الطبقة العميلة للاستعمار ، التى ظلت وفية ومخلصة للاستعمار .

وكان الاستعمار على كل حال ، سلاحاً ذا حدين أصاب القارة فى صميم القلب، وكاد يقضى عليها لولا الحد الثانى الذى انقلب على أوربا نفسها ، وقضى على آمالها فى القارة الأفريقية .
وفيما يلى توضيح الحدين المذكورين :

الحد الأول :

كانت أسباب الاحتلال اقتصادية كما رأينا ومعنى هذا أن كل الامكانيات المادية والطاقات البشرية كانت مسخرة لخدمة مصالح الدول

المستعمرة .

وكان الاستعمار الى جانب ذلك معنوياً سَبَبَ انسلاخاً للعقلية الأفريقية وانفصاماً لشخصيتها لكونه قنبلة محملة بحضارة أوربا بمحاسنها ومساوئها تلك القنبلة الحضارية ان جاز هذا التعبير، انفجرت في المجتمعات الأفريقية ، وقضت على تقاليد عريقة وطرق للمعيشة ، وأساليب المعاملات بين الناس . واحتلت محل هذا كله ما كانت تحمله في طياتها من حضارة أوربا وعاداتها وتقاليدها وقوانينها .

والحق أن الأفريقي في مرحلة انسلاخه من حياته الحرة الطليقة ، ذات السيادة المتوارثة والتقاليد الأصلية ، وقبوله عادات الغزاة وأنظمة حكمهم قد قاس كثيراً ، وشعر بمعاناة نفسية مريرة أدت الى انتحار الكثيرين من زعماء أفريقيا ، مفضلين الموت على حياة غريبة جديدة كلها ذل وهوان وخضوع .

وقد أنتج عدد كبير من مثقفي أفريقيا في

السنوات الأخيرة أعمالاً أدبية قيمة من روايات
ومسرحيات وأشعار ، مصورين فيها حياة
الانسان الأفريقي في مرحلة الاحتلال وما كان
فيها من بؤس وشقاء وحيرة ذهنية واضطراب
نفسي .

الحد الثاني :

كانت تصاحب الاحتلال العسكري بعثات
تبشيرية هدفها نشر الديانة المسيحية ولكي تؤدي
البعثات رسالتها على الوجه الأكمل ، افتتحت
مدارس دينية عديدة لتعليم الناس القراءة
والكتابة والمبادئ الأولية للحساب ، تمهيداً
لتفقههم في العلوم المسيحية غير أن كُتباً قيمة قد
وقعت في أيدي التلاميذ الأفريقيين في مدارس
الارساليات ، كُتب تفيد أن الناس سواسية
بصرف النظر عن اللون والجنس ، ولهم نفس
القدرات على تطوير حياتهم كمّاً وكيفاً .

وترتب على ذلك أمران هامين :

أولهما : أن التعليم صار حركة شعبية واسعة النطاق كوسيلة وحيدة في الحصول على الوظائف الحكومية التي تحقق لأصحابها حياة راقية هنيئة وقد بلغت حركة التعليم هذه ذروتها حين ساهم فيها الأفريقيون الذين تخرجوا من مدارس الارساليات وكان لحركة التعليم أثر كبير على تفتح الأفريقيين وتحضرهم أعنى النظر الى الحياة من زاوية العصر الحديث .

وحينما تنبه الأوروبيون الى خطورة حركة التعليم على مصالحهم ، لم يكن في امكانهم السيطرة على نور التعليم الذى ينتشر فى كل أجزاء القارة كلهيب الحريق فى أعشاب الخريف .

وثانيهما : أن الأذكىء من متعلمي أفريقيا طمحوا فى المناصب العالية التى كان يحتلها الأوروبيون فى أول الأمر ، ثم رغبوا فى تحقيق حياة راقية لشعوبهم بطرد الأوروبيين أو باقامة مؤسسات اجتماعية واقتصادية مستقلة عن تلك التى يديرها الأوروبيون .

وكان ذلك بداية لمعارضة أفريقية جديدة
وهادفة الى خلق مجتمعات حرة ذات حياة عصرية .
وكان ذلك أيضاً بالنسبة للأوربيين ظهور ما لم
يكن في الحسبان . مجهود البعثات التبشيرية في
خلق مواطن أفريقي مسيحي مستعمر وصالح
أثمرت وغصباً عنهم ، ظهور مار د أفريقي متعلم
ومطالب بحريته بأي ثمن .

الفصل الرابع

الحرب العالمية الأولى أسبابها وأثرها على أفريقيا

قامت الحرب العالمية الأولى في يونيو ١٩١٤ م .
وانتهت في نوفمبر عام ١٩١٩ م .

والحرب كما يقال وسيلة غير مرضية لحل
المنازعات بين الأمم وان كل حرب مهما كانت
نتائجها انما تزرع بذوراً للحرب أخرى وتنحصر
أسباب الحرب العالمية الأولى في أمور كثيرة أهمها:

أولهما : لم يكن التقدم الباهر الذي أحرزته
أوروبا في المجالات العلمية والاقتصادية
والاجتماعية طوال فترة القرن والنصف السابقة
للحرب ، لم يكن ذلك التقدم المادي مصاحباً
بتطور مماثل له في العلاقات الدولية والقوانين
العالمية وكانت كل دولة تحتفظ لنفسها بحرية
التصرف في اتخاذ الاجراء الذي تراه مناسباً
لمصالحها ، حتى ولو كان ذلك الاجراء على حساب

دول أخرى .

فلم تكن هناك سلطة عالمية يرجع اليها في فض المنازعات بين الدول كالأُمم المتحدة مثلا .
ثانيهما : ان علاقات الدول الأوروبية بعضها ببعض كانت سيئة للغاية ومتسمة بطابع الكراهية والحقد والخوف المتبادل ، نتيجة لحروب سابقة وتنافس في التجارة والمستعمرات ، فبريطانيا كانت سيدة العالم التي لا تغرب الشمس على علمها ، وحريصة على ممتلكاتها ومستعمراتها ، وخائفة على طرق تجارتها الى الشرق من قوة يوماً بعد يوم .

وكانت بقية الدول الأوروبية تنظر الى بريطانيا بعين السخط والحسد لثرائها الفاحش وسيطرتها العالمية .

ومن جهة أخرى كانت العداوة شديدة بين فرنسا وألمانيا لتنازعهما على المغرب ، وبسبب حروب عام ١٨٧٠ - ١٨٧١ م ، التي هُزمت فيها فرنسا استقطعت بعض أراضيها .

وفي شرق أوروبا كانت الكراهية مستحكمة
بين روسيا ومملكة النمسا والمجر ، لتوسع
الأخيرة على شعوب المنطقة .

وكان لزاماً على كل دولة في وسط تلك
الظروف المتوترة دولياً البحث عن حلفاء لها في
حالة الحرب .

وأخيراً .. واثراً اغتيال ولي عهد النمسا
والمجر في الغرب قامت الحرب بين روسيا وبين
النمسا والمجر .

وانضم الى صف المجر والنمسا كل من ألمانيا
وتركيا ومستعمراتهما . وأيد روسيا كل من
فرنسا وبريطانيا ومستعمراتهما ، والولايات
المتحدة الأمريكية في السنة الأخيرة للحرب . المهم
أن الحرب قامت بين هاتين المجموعتين اللتين
جرّتا العالم كلّهُ الى لهيب المعركة .

واستمرت الحرب كما تعلم .. زهاء خمس
سنوات عجاف ، وانتهت بهزيمة مجموعة ألمانيا.

غير أن انتهاءها لم يكن نهاية لويلات الحروب
ومآسيها كما توقعت الشعوب الأوروبية ، وذلك
لأن معاهدة الصلح التي وقعت بين المنتصرين
والمهزومين اثر الحرب ، فرضت على ألمانيا شروطاً
مجحفة ، بمقتضاها أُخذت كل مستعمرات
ألمانيا ، وطائراتها ، وسفنها التجارية والحربية ،
ونزع سلاحها .

كما أُلزمت بدفع تعويضات للدول المنتصرة
عن كل خسائرها في الحرب من مال وعتاد حربي
ورجال .

وكانت هذه الشروط سبباً في قيام الحرب
العالمية الثانية كما سنرى .

والتاريخ يذكر أن حادثة اغتيال ولي عهد
النمسا والمجر في الغرب .. كانت ذريعة لاشعال
الحرب وليست سبباً جوهرياً لقيامها ، اذ أنها
ستقوم حتماً بدونها لتوفر عواملها .

أ - أثرها على أفريقيا :

الواقع أن الحرب العالمية الأولى تعد نقطة التحول في العلاقات الأوروبية الأفريقية لأسباب كثيرة أهمها :

أولاً : أن الحرب كانت كارثة انسانية كبرى ، دمرت مدناً بأكملها ، وذهبت بأرواح عشرات الملايين من بنى البشر ، وشمل لهيبها كل أقطار العالم تقريباً . وكان من نتائجها كراهية الناس للحروب والظلم بصفة عامة ، الأمر الذى أدى الى تأسيس (عصبة الأمم) لتجنب ويلات حروب جديدة واحلال السلام فوق الكرة الأرضية ولكل الناس ، وفي عصبة الأمم نوقشت أمور كثيرة منها مسألة الحرب والسلام ومشاكل المستعمرات .

وتمخض النقاش عن فكرة وضع مستعمرات ألمانيا تحت وصاية عصبة الأمم ، وتحسين أحوال المستعمرات بصفة عامة .

بمعنى أن الدول الأوروبية المستعمرة ألزمت

دولياً وأمام الرأي العام العالمي بتطوير مستعمراتها اقتصادياً وتعليمياً واعدادهم للحكم الذاتي ، ولم تكن الدول الأوروبية راغبة في فعل شيء من هذا القبيل ، غير أنها ومجاملة لقرار عصبة الأمم وتحت تأثير ويلات الحرب العالمية الأولى أنفقت جزءاً من اقتصاديات أفريقيا في ايجاد مرافق عامة كالخدمات الصحية والتعليمية وطرق المواصلات .

والحق أن المستعمرات الأفريقية شهدت في الفترة ما بين الحربين العالميتين تطوراً ملحوظاً في ميادين الحياة المختلفة لا سيما في التعليم والشئون الادارية ونظم الحكم .

فبريطانيا مثلاً أقامت مجالس البلديات وبرلمانات تشريعية سياسية رغبة منها في اعطاء سياستها الاستعمارية الجديدة صبغة قانونية .

وأهم ما في هذه المسألة أن الأعضاء الأفريقيين في هذا المجال اكتسبوا خبرة ادارية واسعة وفكرة

عامة عن شئون الحكم وجملة القول أن الأفريقيين صارت لهم كلمة في أمورهم العامة والخاصة .

ويؤخذ على الدول المستعمرة في تلك المرحلة أنها اعتمدت على رؤساء القبائل التقليديين الجهلة متناسية أو ناسية دور المتعلمين الأفريقيين الذين كان من الواضح أن مسئولية القيادة السياسية والكفاح الوطني من أجل الاستقلال سيؤول اليهم بالضرورة .

ثانياً : الأثر الثاني الذي يعد اللبنة الأولى لحركة الاستقلال في أفريقيا بعد الحرب العالمية الأولى هو أنه قد تمكن عدد من أبناء أفريقيا من الذهاب الى أوروبا وأمريكا لطلب العلم .

ومن هناك حصلوا على شهادات عالية في فروع المعرفة والمأم واسع بالمذاهب السياسية المعاصرة، كما اطلعوا على الحركات التحررية الطلابية بالاستقلال والحقوق المدنية التي كان يقودها طلاب آسيا وزنوج أمريكا .

هؤلاء الطلبة عادوا الى أوطانهم حاملين معهم أفكار الغرب وثقافته والسياسات المعاصرة ، فصدموا بفضاعة الظلم والجرائم البشعة التي ترتكب جهراً في حق شعوبهم ، فصاحوا يهتفون متى الفجر ؟ وصاروا في كل واد يخطبون ، مبصرين الناس بالظلم الواقع عليهم . وكان الدكتور كوامي نكروما من ذلك الرعيل الأول الذي حمل لواء الكفاح من أجل استقلال أفريقيا .

يضاف الى ذلك أن حركة الوحدة الأفريقية الداعية الى توحيد كل الأقطار الأفريقية تحت علم واحد ، على غرار الولايات المتحدة الأمريكية وجمهوريات الاتحاد السوفياتي .

ظهرت تلك الحركة وقوى شأنها في المرحلة ما بين الحربين العالميتين وكان يلهب روحها غيرة وحماساً زنوج أمريكا لتشابه حياة الشعوب السوداء على جانبي المحيط الأطلنطي في التأخر والاستعباد .

وقد وضع هؤلاء الزنوج أفكارهم في كتب
أوصلوها الى أفريقيا بأعداد كبيرة . وقصارى
القول أن عوامل كثيرة قد تضافرت على خلق رأي
عام أفريقي قوي ومصمم على الاستقلال فى الفترة
ما بين الحربين العالميتين .

والتاريخ يذكر أن تلك العوامل كلها ، على
قوتها وخطورتها ، لما مكنت الأفريقيين من نيل
الاستقلال فى الوقت الذى حصلوا عليه لولا قيام
الحرب العالمية الثانية .

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)

أسبابها وأثرها على أفريقيا

أ - أسبابها :

تكاد أسباب الحرب العالمية الثانية تكون نفس أسباب الحرب العالمية الأولى التي تحدثنا عنها في الفصل السابق وتتلخص عوامل قيام هذه الحرب العالمية الثانية في :

أولاً : فشل عصبة الأمم في المهام والمبادئ التي أسندت إليها بسبب رفض الولايات المتحدة الأمريكية الانتماء الى عضويتها والالتزام بقراراتها ، وحذو الدول الأوروبية حذوها فيما بعد .

ثانياً : وجود أطماع شديدة لدى بعض الدول الأوروبية في ممتلكات دول أوروبية أخرى .

وخلقت هذه الأطماع كراهية قوية وشكوك

متبادلة بين الدول الأوروبية ، يضاف الى ذلك
انعدام سلطة عالمية يوكل اليها البت في الخلافات
السياسية بين الدول .

وفي وسط تلك الظروف الدولية المعكرة
والعديمة الثقة والقوانين العالمية برزت ألمانيا
من جديد بغضب مزمن فوار ، نتيجة للشروط
القاسية التي فرضت عليها اثر هزيمتها في الحرب
العالمية الأولى .

برزت رافضة دفع التعويضات التي فرضت
عليها سابقاً ، ومطالبة بالأرض التي استقطعت
منها وبمستعمراتها فيما وراء البحار .

ولما لم يستجب لمطالبها أعادت تسليحها وقفز
الى حكمها الدكتاتور النازي «أدولف هتلر»
الذي استطاع أن يبعث في الشعب الألماني العريق
روحاً جنونية وحماساً قومياً أعمى ، واعدأ اياه
بالسيطرة على العالم والحصول على خيرات
لا حصر لها .

ثم قامت الحرب وتتابع المعارك ، واستولت ألمانيا على كل البلدان الأوروبية ماعدا بريطانيا وبعض دول اسكندنافية المحايدة . وكان في صف ألمانيا اليابان وايطاليا ومستعمراتهم « قوات المحور الثلاثي » .

وكانت تواجههم بقية شعوب الكرة الأرضية بقيادة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في السنة الأخيرة للحرب ، وروسيا بعد أن أعلنت ألمانيا عليها الحرب عام ١٩٤١م ، خلافاً للمعاهدة التي كانت بين ستالين وهتلر بعدم الاعتداء . والخلاصة أن الحرب انتهت ، كما تعلم ، بانتصار الحلفاء وروسيا وهزيمة قوات المحور ، واحتلال ألمانيا وتقسيمها الى الشرقية والغربية . وانتحار أدولف هتلر .

ب - أثرها على أفريقيا :

الذى يهمنا من أمر الحرب العالمية الثانية انما هو النتائج التي تمخضت عنها وعجلت باستقلال أفريقيا وتتلخص تلك النتائج في :

أولاً : انها حولت القيادة السياسية والاقتصادية والعسكرية من أوروبا الغربية الى القوتين العظيمنتين في العالم هما أمريكا وروسيا . ومعنى هذا أن أوروبا صارت بعد الحرب العالمية الثانية في مركز الضعيف ، ومستعدة لتلقى الأوامر بعد أن كانت تملئ رغباتها على الشعوب قبل الحرب وبما أن أمريكا وروسيا صارتا القوتين العظيمنتين في العالم فلم ترضيا بالأوضاع القائمة في العالم .

وبناء عليه ورغبة منهما في أن يرثا مستعمرات الدول الأوروبية التي أخذ نجمها في الأفول . شجعتا ، كل على طريقته ، الحركات المطالبة بالاستقلال مادياً ومعنوياً .

فالولايات المتحدة مثلاً أضافت الى ميثاق الأمم المتحدة الفقرة الخاصة بحقوق كل الشعوب في تقرير المصير والحرية على الرغم من معارضة الدول الأوروبية الشديدة لتلك الفقرة .

ثانياً : ان جنوداً أفريقيين كثيرون قاتلوا

خارج بلادهم لأول مرة فى التاريخ فأخذوا فكرة واسعة عن العالم الخارجى وشاهدوا الحريات والحياة المادية المريحة التى ينعم بها أهل الأقطار التى حاربوا فيها . فكان طبيعياً بعد عودتهم ، أن يثيروا قلقاً وفتناً داخلية ضد المستعمرين رغبة منهم فى الحصول على الحياة الراقية التى رأوها فى الخارج .

ثالثاً : ان الحرب قد أحدثت تأثيراً نفسياً قوياً على سلوك الأفريقيين وشعورهم تجاه الأوربيين ، لأنهم رأوا الأوربيين قتلى وجرحى رأوهم يمرضون ويبكون كمثلهم تماماً . مما أزال الفكرة التى كانت لدى الأفريقي عن الرجل الأبيض وقضى على الهالة التى كانت تحيطه فى نظر الأفريقي قبل الحرب ، الأمر الذى أثبت له أن الناس سواسية كأسنان المشط .

ومن ثم فلم يكتف الأفريقي برفض أوامر الأوربي بل أعلنها عليه حرباً عشواء مطالباً بحريته وحياة متطورة كريمة ، على نحو ما رآه

فى البلدان الخارجفة التى حارب فى أرضها .

رابعاً : قفيل الحرب العالمفة الأولى ظهرت فى كل الأقطار الأفرفقفة طبقة وطنية سفاسة مكونة من الزعماء التقلفدفن والطلبة الذفن عافوا من الخارج .

وكانت هذه الطبقة تخوض نضالاً سفاساً مستمفياً وسط ظروف افولة معاكسة لعدم وجود محافل افولة تعبر ففها عن قضفئها ، ولا سفما أن أورفا شافا قفبضتها على القارة بعد فشل عسبة الأمم .

فكانت الحرب العالمفة الثانية وما حصل فى أثنائها من وعود بالاستقلال ، وما نفع عنها من ففر فى مفران القوى افولة وظهور الأمم المافدة .

أقول كانت الحرب العالمفة الأخيرة بهذه الصفاف كلها فرصة ذهبفة للطبقة الوطنية كف تشاف كفافها المسلح ونضالها السفاسى ضاف الاسفعمار . وهذا ما ففلفا الطبقات الوطنية

الأفريقية المناضلة ، فكلل كفاحها بالنجاح
وتوَجَّ نضالها بالاستقلال ، وجملة القول أنه
لهذه الأسباب مجتمعة تحررت معظم أقطار القارة
الأفريقية من استعمار ظلٍّ جائئاً على صدورها
زهاء خمسة قرون .

فحقٌّ للشعوب الأفريقية أن تفرح بحريتها التي
طال بها انتظارها ، حق لها أن ترقص في أعياد
استقلالها فوق المروج الخضراء وسط الغابات
الكثيفة ذات الأشجار المورقة والأزهار المتفتحة،
على ضفاف أنهار جارية .

وحقٌّ لها أخيراً أن تأخذ مكانتها اللائقة بها
بين الأسرة الدولية وأن ترفع رأسها شامخاً بعد
خضوع طويل .

ووجب عليها بنفس القدر أن تعمل جاهدة
على النهوض بحياتها اقتصادياً واجتماعياً
وفكرياً .

بيد أن الاستقلال كان وليداً ذا عاهات عديدة
كما سنرى في الفصل القادم .

مشاكل ما بعد الاستقلال

متفق عليه أن مشاكل أفريقيا جمة وعويصة ،
وتتمثل اجمالاً في فقر مدقع ، وجهل مطبق ،
وأمرض متفشية . هذا على الرغم من خيارات
القارة الوفيرة وجهاد شعوبها منذ الاستقلال من
أجل تغيير أوضاعها الأليمة الى الأفضل كمّاً
وكيفاً .

وتبدو مشاكل القارة الأفريقية مغلقة بقفل
محكم صناع مفتاحه من القارة . وقد قامت القارة
حتى الآن بأربعة محاولات خاطئة لحل مشاكلها ،
وبالتالى ضلّت طريقها الى التقدم ، وتاهت في
قضايا القرن العشرين ومضاعفاتها المحلية
والدولية ، وصارت كغصن في مهب الرياح ،
الأوربية . غير أن فشل الأنظمة السياسية
الأوربية في أفريقيا ظهر عقب الاستقلال
مباشرة .

تتقاذفها الأحداث يمينا وشمالا رغماً عنها .
وفيما يلي توضيح للمحاولات السالفة الذكر :

أولا - الحياة البرلمانية :

كان طبيعياً أن تكون الحياة البرلمانية ذات الأحزاب المتعددة المحاولة السياسية الأولى لأفريقيا المستقلة لأن الأوربيين وضعوا قبيل رحيلهم دساتيرهم لأفريقيا ، رغبة منهم في أن تظل الحياة السياسية عند الدول الأفريقية المستقلة على نمط الحياة السياسية البرلمانية لأنه كان لدى الأفريقيين إيمان الكفاح الوطني اعتقاد خاطيء بأن الحرية انما تعنى نهاية المشاكل والخروج من فقر الى ثراء فاحش بين عشية وضحاها .

وحارب الأفريقيي الاحتلال الأجنبي بكل شجاعة مدفوعاً بهذا الأمل . والكفاح ضد الاستعمار قد لا يكون محتاجاً في أغلب الأحوال الى نضج سياسي عميق والمأم واسع بشئون الحكم

ومشاكل التنمية ، ان هو الا كيان مادي ملموس
متمثلا في الرجل الأبيض الذى يمكن قتله
بمختلف الأسلحة . وترتب على ذلك عدم وجود
خطة معينة أو برنامج مدروس لدى الأفريقيين
لما بعد الاستقلال .

اذ ظلوا يقاتلون الاستعمار ، متعاهدين على
جنة الفردوس فى يوم الاستقلال . وبعد كفاح
طويل وقتال مرير أشرقت شمس الحرية على
الشعوب الأفريقية فتنفست الصعداء .

الا أن الفرحة لم تدم ، وظهر مالم يكن فى
الحسبان . ذلك لأن ما ورثته الشعوب الأفريقية
لم يكن ثورة صناعية ولا ثروة اقتصادية ، بل
حرية العمل فى بناء أوطانهم من الصفر ، الأمر
الذى يتطلب خبرة طويلة فى الشئون الادارية
ومعرفة واسعة عن تخطيط المشاريع وتحديد
الأولويات ، وقدرة مادية على تنفيذ كل ذلك .

ولم يكن لدى الأفريقيين شىء من هذا كله .

فاكتشفوا حقيقة أن الاستقلال ليس نهاية
للمشاكل كما توقعوا . فكانت خيبة أملهم كبيرة .
وصدمتهم بواقعهم الأليم مريرة .

ومن ثم برزت الخلافات القبلية والاقليمية
واللغوية والدينية الى الوجود بعد الوحدة
المؤقتة التي خلفها النضال الوطني والتي ما ان
رفع علم الاستقلال حتى ظهرت على حقيقتها
ممزقة الروابط ، ومفككة الأوصال وأخذت
طبول الطوائف القبلية والأقليمية الدينية تدق
بعنف ، مؤكدة وجودها ، ومصرة على تدعيم
مركزها بضم صفوف أبنائها ، وخلق فرص
النجاح لهم في اتجاه مضاد للمصلحة العامة
للأمة .

وثمة أمران زاد الطين بلة :

أولهما : أن الحدود الجغرافية التي وضعها
الاستعمار بين أقطار القارة الأفريقية لم تراع
المقومات الأساسية للأمم من لغة ودين وأصل
وتاريخ مشترك . فهناك بلدان كثيرة تقطن كل

واحد منها شعوب ذات لغات متعددة ، وأديان مختلفة ، وأجناس متباينة من حيث الأصل .

ومن الطبيعي في مثل تلك البلدان أن تشعر كل طائفة بكيان نومي مستقل عن بقية الطوائف .

وثانيهما : أن معظم المسؤولين الأفريقيين على اختلاف مناصبهم السياسية والحكومية لم يرتفعوا الى مستوى المسؤولية القومية ، فبدلاً من أن يعملوا على صهر لطوائف الإقليمية والقبلية واللغوية في بوتقة قومية موحدة ، وصل بهم الجهل وضيق الأفق والأنانية الى حد تضخيم الخلافات المحلية وتغذيتها ، رغبة منهم في الاحتفاظ بالمناصب وكراسي الحكم .

وترتب على ذلك اندفاع حروب أهلية دموية وضعت نهاية مؤسفة لحياة ملايين من أبناء أفريقيا الذين أبلوا في سبيل الاستقلال بلاءاً حسناً .

ولا أظننا نملك دليلاً أقوى من تلك الحروب الأهلية التي حدثت في كل من الكونغو (كينشاسا حالياً) ونيجيريا ورواندا وبورندي .

يضاف الى ذلك انعدام العدالة في أفريقيا المستقلة وضياع حقوق الناس فيها الى حدّ اليأس .

حقيقة أن محاولات جادة وكثيرة قد بذلت ، وأن تطوراً ملحوظاً قد حدث في بعض جوانب الحياة غير أن واقع الأمم الأفريقية السوداء مازال مؤلماً .

وبعد أن خاب أمل الأفريقيين في الحياة النيابية الديمقراطية ، وفي البرلمانات السياسية التي صارت سوقاً للمساومات المالية والصفقات التجارية للنواب ، ومكتباً عاماً لاختلاس أموال الشعب جملة وفي وضوح النهار كان لا بد للأفريقيين من البحث عن مخرج آخر من المشاكل المتراكمة عليهم والفقر المتوارث قروناً . ولاح الأمل في منظمة الوحدة الأفريقية .

ثانياً - منظمة الوحدة الأفريقية :

الواقع أن فكرة منظمة الوحدة الأفريقية ترجع الى مرحلة ما بين الحربين العالميتين . اذ دعا اليها عدد من زنوج أمريكا والطلبة الأفريقيون في الغرب على نمط الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

ولكن الدعوة الى هذه المنظمة بعد الاستقلال كانت بمثابة أمل الأفريقيين في التغلب على المشاكل المستعصية التي واجهتهم بعد الحرية ، اعتقاداً منهم بأن حل مشاكل القارة يكمن في اقامة دولة أفريقية واحدة تجمع تحت علمها كل أقطار القارة عملاً بالمثل القائل : « الاتحاد قوة والتفريق ضعف » .

وبعد أخذ وردّ بين حكومات الدول الأفريقية ذات السكتريرية الدائمة ، وميثاق اعترف بالسيادة الكاملة لكل الدول الأعضاء على أراضيها، وعدم تدخلها في شئون الدول الأخرى . وتشكلت في المؤتمر لجان عديدة للملم

والثقافة، للاقتصاد والشئون السياسية ولمساعدة حركات التحرير في الأراضي الأفريقية التي مازالت تحت الاستعمار .

وبما أننا في عصر الحقائق ، وحيث أن اخفاء الحقيقة ، حتى وإن أمكن لا يساهم في حل المشاكل ، فإن من الأفضل الاعتراف بفشل المنظمة في المهام التي أسندت إليها .

والحق أن الفشل كان محكوماً عليها منذ البداية لعوامل كثيرة منها : الفقر الفكري لدى الأفريقيين ، ذلك لأن معظمهم لم يصلوا فكراً الى مستوى القومية الفطرية على نطاق البلدان التي يحكمونها . وفكرة منظمة الوحدة الأفريقية تفترض فيهم أن يكونوا في مستوى الأممية على نطاق القارة أو العالم وشتان ما بين الأمرين من فروق .

ومنها الفقر الاقتصادي ، فمن المعلوم أن كل الدول الأفريقية متأخرة اقتصادياً وثقافياً ، وبالتالي فهي محتاجة الى مساعدات خارجية عاجلة

للنهوض بالتزاماتها في ميادين الحياة المختلفة .
وبما أنه ليس في استطاعة أيّة دولة أفريقية
تقديم العون اللازم للدول الأعضاء الأخرى ،
فقد رأى أغلب الأعضاء أن المنظمة لا تملك
حلولاً لمشاكل بلدانهم الملحة ، ومن ثم اتجهوا الى
الدول الغنية ، التماساً للعون المادي على أسس
ثنائية أو اقليمية والدول الغنية راغبة بطبيعة
الحال عن قيام وحدة أفريقية ذات فعالية على سبيل
الأحداث .

يضاف الى ذلك اختلاف أنظمة الحكم في القارة ،
فمن ملكية مطلقة الى جمهورية رأسمالية ، الى
عسكرية دكتاتورية الى اشتراكية متطرفة .

وخلاصة القول أن العوامل السابقة مجتمعة
قد جعلت منظمة الوحدة الأفريقية محدودة
الامكانيات ، وعاجزة عن معالجة مشاكل القارة
معالجة علمية ذات أثر موجه لاقتصاديات القارة
وسياستها .

صحيح أن المنظمة تمد حركات التحرير في

البلدان الأفريقية المستعمرة بالعون المادي
والمعنوي . وهذه مسألة لا ينبغي التقليل من
شأنها .

وصحيح أيضاً أن المنظمة تنظم مؤتمراً سنوياً
للملوك ورؤساء القارة حيث تتاح لهم فرص عظيمة
للتعارف والتشاور وتبادل وجهات النظر حول
قديم الأمور وحديثها . وتلك مسألة أخرى ذات
أهمية كبيرة .

غير أن منظمة الوحدة الأفريقية فشلت في
تحقيق تبادل تجاري وثقافي وتعليمي بين أقطار
القارة .

وفشلت في خلق مواقف اقتصادية وسياسية
أفريقية موحدة ازاء القضايا العالمية . وفشلت
أيضاً في حل المنازعات بالطرق السلمية بين
أعضائها وفوق هذا كله فشلت المنظمة في جعل
حلم الولايات المتحدة الأفريقية حقيقة واقعة .

ثالثاً - الانقلابات العسكرية :

لجأت الشعوب الأفريقية الى الانقلابات

العسكرية بعد أن يئست من الحياة تحت الأنظمة
البرلمانية السياسية ، وبعد خيبة أملها في منظمة
الوحدة الأفريقية ، كما رأينا في الفصلين
السابقين .

والواقع أن أسباب معظم الانقلابات العسكرية
كانت محلية كما أنها أيّ الانقلابات حظيت
بتأييد شعبي منقطع النظير لرغبة الجماهير
الأفريقية في تحقيق حياة أفضل وتقدم أسرع
تحت قيادة عسكرية وطنية وذات الجرأة على
اتخاذ قرارات هامة عجز عنها الساسة المدينون
لاعتبارات سياسية محلية كانت أو عالمية . وقد
بدأت موجة الانقلابات العسكرية في أفريقيا عام
١٩٦٥م - ١٩٦٦م .

ففي هذا العام أطاحت الانقلابات العسكرية
بالحكومات المدنية في كل من الجزائر والكنغو
وجمهورية أفريقيا الوسطى ونيجيريا وغانا على
التوالي .

ثم تتابعت الانقلابات حتى شملت ثلاثين

دولة من الدول الأفريقية المستقلة البالغ عددها ٤٥ دولة .

وقد نجح قادة الانقلابات العسكريون في حفظ الأمن ، وخلق وحدة قومية مؤقتة ، كما قاموا بنشاطات كثيرة استهدفت تجنيد كل الموارد المادية والطاقات البشرية لتطوير أوطانهم اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

غير أن مشاكل أفريقيا كانت ، ولا تزال أعقد من أن تحل بالقرارات الجريئة التي تبث في عشية وضحاها ، وأعمق جزوراً من أن تزال بالخطب المعسولة والحماس الوطني كما تمنى الكثيرون .

فالثالث الاجتماعي الخطير والضارب أطنابه في أفريقيا لا يمكن استئصاله بسهولة وفي سنوات قليلة ، وكذا الخلافات المحلية قبلية كانت أو دينية أو اقليمية مسألة نفسية ذات جزور تاريخية عميقة في وجدان الشعوب ، ولا يمكن القضاء عليها أو الحد من خطورتها بسهولة وفي

سنوات قليلة .

ومما ضاعف مشاكل قادة الانقلابات العسكريين في أفريقيا اعتقاد المدنيين خطأ أو صواباً بأن الانقلاب العسكري إنما هو اغتصاب السلطة منهم قهراً وجهاً .

وترتب على هذا الاعتقاد محاربة المدنيين للأنظمة العسكرية أو سلبيتهم تجاهها في أحسن الفروض . على أن معظم قادة الانقلابات العسكرية لم يكونوا ملائكة منزهة من الأطماع والأخطاء .

فقد عمل بعضهم عمداً على كبت الحريات وخنق الحياة العامة وتفخيم الخلافات المحلية ، مسببين في ذلك لأوطانهم شللاً اقتصادياً وجموداً فكرياً وهروب المتعلمين الذين كان الواجب أن تقوم النهضة على أكتافهم .

وعلى كل حال فإن الفشل كان محكوماً على الانقلابات العسكرية في أفريقيا منذ البداية

وفعلا فشلت لأن المشاكل المعروضة عليها كانت فوق طاقتها نظراً لقلة الامكانيات المادية والمعنوية وهذا اذا صرفنا النظر عن عدم توفر حسن النية لدى قادة الانقلابات العسكريين ، وجهلهم المطبق عن شئون حكم الشعوب ومشاكل التنمية بحيث ينطبق عليهم المثل القائل (رب مصلح مفسد) .

أ - الحكم العسكري للشعوب :

الواقع أن الحكم العسكري رغم أنه عمّ معظم شعوب العالم الثالث ورغم أن مؤلفات كثيرة وأكاديمية قد كتبت عنه ، أقول أنه رغم هذا مازال في قائمة الأمور التي يصعب ادراك حقيقتها الا بالمعايشة معها والممارسة العملية لها . على أنه في امكاننا تقريب صورة الحكم العسكري الى الأذهان بالمقارنة الآتية بين الحياة المدنية والحياة العسكرية :

الحياة المدنية في مجالات العمل تقوم على المناقشة وتبادل الآراء وتفنيد الأفكار بلغة

الأرقام بغية التوصل الى حلول سليمة للمشاكل المعروضة .

ومثل هذا المناخ الحرّ لمقارعة الحجة بالحجة تسبقه خلفيات تعليمية تربوية نفسية ومشتركة لكل المتصدين لمعالجة القضية قيد البحث .

والحياة العسكرية هي الأخرى لها تعاليمها وتربيتها وقوانينها ودوراتها التدريبية ، وكلها قائمة على القضاء .. القضاء على العدو .

وان وجد شيء من المناقشة في الحياة العسكرية فان أغلبه لا يخرج عن دائرة النظرية الرئيسية في تحذب العلاقة بين العساكر (أطع من فوقك وأمر الذى تحتك) .

ثم تحل المصيبة على النحو التالى :

بمجرد استيلاء العسكريين على الحكم بهذه الخلفيات المذكورة تنعدم المناقشات فى البلد المبتلى بين الحكام العسكريين وبين المدنيين رغم المحاولات المستميتة من الطرفين فى الحفاظ على

جعل المناقشة والحوار حول المصلحة العامة .
وذلك لأن القادة العسكريين أولاً غير قادرين على
فهم قيمة المناقشة الحرة لقضايا القومية . فهم
معدورون في هذا الكون المربى بالفطرة عدواً
لما جهل ولأنهم ثانياً ليس لديهم اعداد تعليمي
أو نفسي لقبول المناقشة بحكم تربيتهم العسكرية
التي سبقت الاشارة اليها .

وتكون النتيجة الحتمية لهذا المناخ المظلم
احلال الخراب والدمار بالبلد المبتلى بالحكم
العسكري .

وخراب البلد كما تعلم يعنى قيام معارضة
شعبية والمعارضة في نظر العساكر عدو ، ومن
هنا تظهر أهمية التعاليم العسكرية القضاء ...
القضاء ... القضاء على العدو الذى هو الشعب
في هذه المرة .

ب - مجلس الوزراء العسكري :

والواقع أن الحكم العسكري للشعوب رغم أنه

تجربة قاسية ومحنة انسانية الا أنه لا يخلو من مشاهد مضحكة ، وقديماً قالوا : (شر البلية ما يضحك) .

فمثلا التشكيل الوزاري يتم غالباً على الوجه التالي :

١ - جنرال « أ » من ضباط الهندسة العسكرية قسم الألفام والمفرقات وهو الذى أحدث خسائر جسيمة فى خطوط التموين للعدو فى الحرب الأخيرة ، وزيراً للتربية والتعليم والبحث العلمي .

ومهمته الجديدة نظراً للمرحلة الثورية التى يجتازها الوطن انما هي اختيار أفضل المناهج التربوية وحل مشاكل المعلمين ونقص الكتب المدرسية ، وربط عملية التعليم باحتياجات البلد بصفة عامة .

٢ - جنرال « ب » من رجال البحرية العسكرية قسم الضفادع البشرية والشهود له بالكفاءة فى ملاقات العدو تحت أعماق البحار ، وزيراً

للصحة . ومسئوليته الجديدة نظراً للمرحلة
العصيبة الراهنة التي يمر بها البلد ليست
مقصورة على استئصال الأوبئة المختلفة والأمراض
المزمنة فحسب ، بل انه مطالب بابتكار أدوية
جديدة تكسب النظام الثوري سمعة عالمية .

٣ - الرائد «ج» كابتن فريق كرة السلة
بالقوات المسلحة الذي بفضل جهوده وتفانيه في
العمل أحرز الفريق القومي عدة ميداليات ذهبية
في محافل دولية : وزيراً فوق العادة للبنك
المركزي الوطني .

وواجباته الحالية نظراً للظروف التاريخية
التقدمية التي يعيشها الوطن ليست محصورة في
إبداء رأي سليم ونهائي في السياسة النقدية
الدولية وملازمات التجارة العالمية وأنظمة
الصرف الثابت والسعر الحر ، بل انه مسئول عن
استحداث نظريات نقدية جديدة ومستمدة من
البيئة المحلية يكون فيها مفخرة للوطن ومنفعة
للشعب أجمعين .

٤ - السيد «د» عميد متقاعد بقوات الأمن
وذو خبرة طويلة في معاينة الجريمة وأخذ
البصمات ، وزيراً للزراعة والثروة المعدنية .
وانها لفرصة عظيمة للعميد «د» لكي يختتم
رحلة حياته التي أوشكت على الانتهاء بحل أزمة
الغذاء في وطنه بما سيجده من ثورة صناعية
تكنولوجية في الزراعة ، وبما سيستخرجه من
باطن الأرض من كنوز ومعادن لا يعرف هو من
أسمائها الا قليلا .

٥ - الملازم «ز» زوج ابنة الفلان ومازال
جندياً عاملاً في فرقة الآليات قسم مدفعية
الميدان . وقد أظهر موهبة منقطعة النظير في
ادارة دفة العمليات في المناورات الأخيرة علاوة
على الميدالية الذهبية التي حصل عليها في البطولة
العالمية للعساكر في دقة التصويب في السنة
الماضية ، وزيراً للخارجية .

والأمل كبير أو قل ليس هناك أدنى شك في
أنه سيتمكن من تطويع سياسة الشرق والغرب

لصالح الوطن ، والضحك على ذقون كافة دهاة
الدولة والدبلوماسيين .

الى آخر قائمة الوزراء العسكريين الدين
يؤمرون ويتواصون فيما بينهم دائماً باتخاذ
القرارات الهامة بأنفسهم وعدم الاستماع الى
المدنيين الرجعيين الساخطين على الحكم العسكري .
بقي أن نعرف أضرار هذا التشكيل الوزاري
العجيب لا تقف عند حد تدمير هذه المرافق
الهامة كما يتبادر الى الذهن للوهلة الأولى ، بل
انها تمتد لتقضى على ما هو أهم من هذا كله ألا
وهو احترام التخصصات المهنية والتعليمية .

ولذا يعتبر من الأمور العادية عند الشعوب
الخاضعة للحكم العسكري أن ترى أصحاب الحرف
كالخياطين والسائقين والحلاقين وهم يتنافسون
فى احتلال وظائف السلك السياسي على اختلاف
مستوياتها . وأطباء ينقلون الى مؤسسات
تجارية ، وبدواً أميين يفتتحون دورات تدريبية
للجامعيين ، ورجالا مدنيين يشتغلون فى بناء

الجيش واستيراد الأسلحة المختلفة رغم أنهم لا يكادون يميزون بين صهاريج المياه والمدافع الا بشقّ الأنفس .

وليس في ذلك ما يدعو للدهشة ، لأنه مادام قد قضى على احترام التخصصات المهنية والتعليمية وكذا فكرة الشخص المناسب في المكان المناسب ، اذن فلا أحد أفضل من الآخرين بالفطرة .

وبعد فشل الانقلابات العسكرية في تحقيق الآمال التي علقت عليها الشعوب الأفريقية كان لا بد للأفريقيين من البحث عن مخرج آخر من المشاكل المتراكمة عليهم والفقر المتوارث قرناً . فلاح الأمل في الاشتراكية .

رابعاً - الاشتراكية في أفريقيا :

بعد اخفاق الشعوب الأفريقية في تحقيق آمالها تحت ظل الاستعمار قبل تحررها منه ، وتحت أنماط الديمقراطية الغربية عقب

الاستقلال وكذا في عهد الجنرالات العسكريين الذين استولوا على الحكم اثر فشل البرلمانات السياسية في انجاز طموحات الأمم الأفريقية كما رأينا في الفصل السابق .

فنقول بعد هذا كله ، صار من المنطقي أن تلجأ الشعوب الأفريقية كغيرها من الأمم المتأخرة الى الاشتراكية كسفينة النجاة لها من مشاكلها التي بدت كموجات متلاطمة وسط بحر هائج لا يعرف له براء الأمان .

وساعد على هذا الاتجاه جهل الأوطان الأفريقية عن حقيقة الاشتراكية من جهة ، والدعاية المدروسة والجبارة التي أطلقها الاتحاد السوفياتي عن الاشتراكية مسخراً لها كل طاقاته المادية والمعنوية ، حتى بدت روسيا وسط غبار دعايتها صديقة الأمم المظلومة المستضعفة رشحاً طويلاً من الزمن من جهة أخرى .

من هنا كانت بداية المحاولات الاشتراكية في الأقطار الأفريقية وقبل الحديث عن مصر

الشيوعية في أفريقيا ، أود أن أسجل كلمات
مختصرة عن الاشتراكية ، تبياناً للحق والحقيقة ،
بأدلا وسعى في احترام أمانة القلم وتجنب
الكذب والافتراء .

الفصل الخامس

الشيوعية والاشتراكية

انهما كلمتان تدلان لفوياً على معنى واحد تقريباً ، وهو جعل شىء مشاعاً أو شركة بين اثنين أو أكثر .

وكذا المفهوم السياسي للكلمتين واحد نظرياً وعملياً ، أو قلّ انهما كلمتان مترادفتان في القاموس السياسي أسلوباً وغاية ، شكلاً ومضموناً .

والاختلاف الوحيد بين الكلمتين في نظر الماركسيين كامن في ظروف مرحلية بحتة . اذ يذهبون الى القول بأن الشيوعية انما هي نهاية مطاف الاشتراكية ، أو بعبارة أخرى أن نهاية الاشتراكية هي بداية الشيوعية ، على أن يكون المعيار الفاصل بين المرحلتين مدى انصياع الجماهير الشعبية للحزب الشيوعي في بلد ما ودرجة تقديسها وانقيادها لشخصية القائد الحاكم وأوامره .

وقد أثبتت تجارب الحركة الشيوعية في كل المجتمعات التي مورست فيها ، أثبتت بما لا يدع مجالاً للجدل أو الشك بأن مفهوم الاشتراكية والشيوعية واحد في التفكير النظري وفي التطبيق العملي على السواء . فكلتاها تغنى عن الأخرى أيهما تأخذ تكفيك عن الثانية .

ولك أن تسأل مادامت الشيوعية والاشتراكية اسمين لمذهب واحد ، فما السبب في اعتبار الناس الاشتراكية والشيوعية مذهبين مختلفين ؟

أقول لك أن وراء هذا الاعتقاد الخاطيء لدى الناس مجهودات جبارة وقصة كبيرة خلاصتها أنه عندما اقترنت الشيوعية بـ (اللادين) في أذهان الشعوب تفتقت عقول الماركسيين عن حيلة بارعة وفريدة في نوعها وهي إيهام الناس بأن ثمة مذهباً اسمه الاشتراكية لا يخالف الدين والخصائص الحضارية الأخرى وأن لعنة الله على الشيوعية .

ومن هنا بدأ التبشير بالاشتراكية والتنديد بالشيوعية ويالها من مغالطة كبيرة وتحايل زكيّ على الشعوب . على أن الدول الشيوعية نفسها لم تسلم من أضرار هذه المغالطة . اذ سميت أمم كثيرة في العالم نفسها (بالاشتراكية) دون أدنى تطبيق لمبادئ الاشتراكية وتمكنت بذلك من الحاق خسائر جسيمة بخزائن الدول الشيوعية تحت شعار التعاون بين الأقطار الشيوعية .

أ - دعائم الاشتراكية :

ينبغي بعد ذلك أن نعرف أن جوهر المذهب الاشتراكي يقوم على عدة مبادئ رئيسية نذكرها كما هي منصوصة في كتب الشيوعية دون اضافة منا أو حذف :

أولاً : حظر الملكية الخاصة بكل أنواعها من أرض وعقارات ومؤسسات ومصانع وذلك بسيطرة الدولة على كل وسائل الانتاج والمرافق المختلفة للحياة .

ثانياً : انكاد وجود الله والقضاء على الأديان باعتبارها في نظر الشيوعية مخدراً للشعوب .
ويستبد ذلك بطبيعة الحال القضاء على كل ما تعارف عليه الناس من قيم أخلاقية ومثل سامية كالخير والحق والعدالة .

ثالثاً : سيطرة الحزب على كل وسائل الاعلام والنشر والتأليف والتفكير ، لخنق الرأي المخالف واسكات المعارضة من جهة ، ولتيسير مهمة اجراء عملية غسيل مخ شاملة للشعب بغية خلق رأي عام مطيع موحد ومجرد من كل المقاييس والمعايير المساعدة على المقارنة والتقييم حتى يختلط عليه الأمر ، فيصبح الحزب في نظره ، أى الشعب أمنأ وسلاماً ، والفقر تقدما ورفاهية والكذب صدقاً وحقيقة ، والعبودية حرية مطلقة ، والتعاسة سعادة وهناء . (من أقوال جورج أورويل في كتابه ١٩٨٤م) .

رابعاً : تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق توزيع الدخل العام على المواطنين ، كل

بحسب عمله وحاجته .

هذا ما قاله الشيوعيون في خطبهم وكتبهم نظرياً ، وانها فكرة جميلة طالما تطلعت اليها الانسانية . غير أن الممارسة العملية للشيوعية لم تجد مناصاً من تحويل فكرة توزيع الانتاج على الناس بالمساواة الى توزيع الظلم عليهم بالمساواة حتى في مجال الاقتصاد الذى تقوم على وحدة الاشتراكية . كيف ذلك ؟

بما أن الملكية الخاصة محظورة في ظل الاشتراكية ، فان الحزب الشيوعي في حقيقة الأمر هو مالك كل شئ ومطلق التصرف في توزيع الأرزاق والانتاج على الشعب ، شريطة أن يحتفظ لنفسه نصيب الأسد من الثروات القومية . وليس في ذلك أى ظلم في اعتقادهم ، مادام لم يؤخذ من شخص معين شئ ما لانعدام الملكية الخاصة أصلاً .

ولعل هذا هو السبب فيما ظهر لدى قادة الأحزاب الشيوعية قاطبة من حياة الترف والاسراف والأبهة لم يرو لها التاريخ نظير .

هذا فى الوقت الذى يعتبر فيه أكل الخبز بالماء
مسألة عادية عند شعوبهم .

وعلى العموم فلا يخفى على أهل البصرة
وأرباب المعرفة ما يصاحب بالضرورة تنفيذ
المبادئ الشيوعية السالفة الذكر فى مجتمع ما ،
من ظلم وإبادة جماعية وقهر عام واضطهاد شامل
لكل فئات الشعب .

وما أدراك ، وقاك الله كل شر ، ما القهر
والإبادة والاضطهاد ؟ لا مانع من التخيل والتفكر
فى ذلك .

ب - أسباب التمسك بالشيوعية عند الشعوب النامية :

منذ قيام الاتحاد السوفياتي كأول دولة
اشتراكية عام ١٩١٧ م وأصحاب الأديان
السماوية وأرباب الأقلام النزيهة وأهل الفكر
يتكاتفون على تبصير أمم الأرض بخطورة المذهب
الاشتراكي على الأديان وحقوق الإنسان وحرية
الفكر .

وكان العالم البريطاني جورج أروويل أفضل
المحذرين وأكثرهم صدقاً ، وأقربهم الى تجسيد
حقيقة المأسى البشرية المتولدة عن تطبيق
الشيوعية فى المجتمعات الانسانية . وذلك فى
كتابه « حديقة الحيوانات »
و « ١٩٨٤م » .

ومع ذلك لم يزل للشيوعية أتباع وأنصار
ومريدون فى كل أقطار المعمورة . فما هو السبب
فى عدم اقتناع الناس بكل ما قيل وكتب ضد
الشيوعية ؟

قد تكثر الأسباب غير أنى أذكر ثلاثة :

أولها : الدعاية المضادة : سخّرت الدول
الشيوعية كل امكانياتها المادية والمعنوية لفنّ
الدعاية ، كما أنها اكتسبت خبرة طويلة فى
تضليل الشعوب . وساعدتها هذه وتلك ، على
ابتكار ألف حيلة وحيلة فى الكتب والصحف
والمجلات والروايات ، لخداع الناس وستر

عيوبها واخفاء نواياها السيئة .

والناس عادة لا يجدون مقدرة علمية كافية ووقتاً واسعاً للتمييز بين الحق والباطل وسط الدخان المتصاعد من نيران الدعايات المتناقضة والمتعارضة في العالم .

ولذا يظل من اعتنق الشيوعية منساقاً وراءها حتى يجد ذاته أمام مشنقة نصبتها له الشيوعية نفسها . وما قصة مقتل رئيس أفغانستان السابق والأسبق الشيوعيين (نور تراقي وحفيظ الله أمين) على يد روسيا ببعيدة عنا .

ثانيتها : التجربة غير قابلة للنقل :

ان أغلب من كتبوا عن مساوئ الشيوعية هم من الذين عاشوها وعانوا من قساوتها وتعرضوا لأهوالها ومن ثم حاولوا نقل تجربتهم المأساوية المريرة ، منذرين ومحذرين ، الى غيرهم ممن لم يجابهوا ظروفاً مماثلة وهنا مكن الصعوبة ، صعوبة عدم قدرة الانسان على نقل تجربته الخاصة بكل عمق معانتها الى الآخرين لأنه شتان

بين أن ترى أناساً يعذبون ، وبين أن تكون عرضة للتعذيب . شتان بين أن ترى قوماً حظر عليهم حرية العبادة والملكية والتفكير ، وبين أن تكون واحداً من هؤلاء القوم .

حقيقة أن التأثير موجود في كل هذه المواقف . غير أنه يتفاوت في الدرجات من حيث تفاعلات العواطف البشرية والمشاعر الانسانية التي تترك آثاراً نفسية عميقة وبصمات جسمانية واضحة على من يقع عليه الخطر أكثر من المتفرج .

وقديماً قال شاعر عربي : (ليس من رأى كمن سمعا) . على أننا لا نلغى من حسابنا في معرض الحديث عن أسباب عدم اقتناع الناس بالتحذيرات المتكررة لهم من ويلات الشيوعية ، طبيعة المجحود وعدم التصديق التي فطر عليها الناس .

ثالثتها : الغضب والكراهية :

ان دراسة تحليلية لخلفيات أنصار المذهب الشيوعي قديماً وحديثاً دلت دلالة قاطعة على أنه

مبدأ قائم على الكراهية والغضب والرغبة في الانتقام .

فاذا صرفت النظر عن اليهودي الألماني كارل ماركس الذى أسس الشيوعية أصلاً لينتقم من الرأسمالية الألمانية التى خطفت منه بمالها خطيبته ، واكتفيت بالقاء نظرة سريعة على سجل حياة كل دعاة الشيوعية فى الأقطار العربية والاسلامية تجدهم جميعاً من الساخطين الغاضبين لما فقدوه من مال أو جاه أو علم .

وما الشعارات البراقة التى يطلقونها كالعدالة الاجتماعية وحقوق الطبقة العاملة سوى وسيلة لجذب الجماهير الشعبية التى تعد فى الفكر الشيوعي جسر العبور الى السلطة فقط .

بمعنى أن هذه الفئة ، فئة دعاة الشيوعية ، تعرف جيداً شرور الاشتراكية وويلاتها بيد أن الغضب أعماها ، وسيطرت عليها الكراهية ، وتمكن فى نفسها الحقد ، ففقدت المنطق والوعي ،

شأنها شأن من يقدم على قتل شخص ما مدفوعاً
بنزعة الغضب .

وأخيراً فان عيني لم تقع فيما كُتِبَ
بالعربية عن الشيوعية على شيء أكثر صدقاً أو
أقرب الى تصوير حقيقة نفسية دعاة الشيوعية
من تلك الكلمات التى جاءت فى مقال للأستاذ
طارق حجي بجريدة المدينة يوم ٢٩/٣/١٤٠٠ هـ
تحت عنوان (الشيوعية مذهب أم طبع) .

يقول الأستاذ طارق حجي :

ليس بين دعاة الشيوعية من لم يجد فى هذا
المذهب ضالته وغايته . فهو اما المذهب الذى
يبرر له نهمه الجنسي الذى يريد أن يعربد فى
فوضى عارمة بلا ضابط ولا رابط .

أو هو المذهب الذى يحطم الأسرة ويريحه من
مشقة احساسه المؤلم بأنه ابن أسرة محطمة
شوهاء ينظر اليها المجتمع باستهجان وازدراء ،
ولن يريحه الا تحطيم هذه النظرة بتحطيم
اطارها العام بأن يصبح الجميع على شاكلته .

أو هو المذهب الذى ينعش الآمال فى نفس
خامل كسلان بأن يتساوى فى المال مع الأذكاء من
ذوى النشاط والهمة .

أو هو المذهب الذى يحيى فى صدر الوضع
الذى يرقد فى درك المجتمع الأسفل بسبب وضاعته
الآمال فى أن يتساوى مع أصحاب المقامات
الرفيعة لا بصعوده الى العلا بل بجذبهم الى
الحضيض .

ان الشيوعية ليست مذهباً بقدر ما هي ملجأ
لشذاز الأخلاق ومشوهى الطباع فهي طبع أكثر
منها مذهباً .

والآن لعلك راغب فى معرفة كيف تبدأ
المسرحية المأساوية لتطبيق الاشتراكية فى بلد ما ؟
أقول لك أن هذه المسرحية تتكون عادة من
عدة فصول يطلق عليها الشيوعيون بـ (الخطوات
المباركة) .

فبعد اعداد طويل لاسقاط الحكومة الشرعية

بخلق مشاكل سياسية ومحن داخلية وعرقلة الحركة العمرانية ، يزاح الستار عن الفصل الأول فاذا بمجموعة من الساخطين ، مدنيين كانوا أو عسكريين تسيطر على الحكم .

وسرعان ما يلتف حولها كل الناقمين والفاضبين على اختلاف أسباب سخطهم ، لأن الطيور تقع على أشكالها كما يقال .

والمشاهد في الفصل الثاني أكثر إثارة من الفصل الأول ، اذ تنصب فيه المشانق لرجال الدين والعلم والمال والقضاة ، ليحل محلهم اللقطاء والساقطون .

وبعدها تتحرك مسيرة المجتمع الاشتراكي بقيادة الغوغائيين والفاشليين الى المصير المجهول والشقاء المستديم بمشيئة الله لانحرافهم عن سنته في الخلق والحياة .

ولك أن تسأل اذا لم تكن الاشتراكية مذهباً سليماً فكيف استطاعت الدولة الفلانية الاشتراكية انتاج ما نراه من أسلحة ومصانع ؟

أقول لك ان عظمة الأمم ورفاهيتها لا تقاس
بما تمتلكه من أسلحة وآلات عصرية أخرى بقدر
ما تقاس ما تمنى لأفرادها من حرية العقيدة
والعمل والفكر .

فنحن لا تهمنا الأشياء المادية ، على قلتها في
البلدان الشيوعية ، بقدر ما تهمنا انسانية
الانسان في البلد الفلاني . بمعنى ماذا يحس
الانسان في ذلك البلد ؟ وكيف ينظر الى نفسه
باعتباره أدرى الناس بحقيقة الأوضاع في وطنه .
حكى لى عدد غير قليل من الطلبة الصوماليين
الذين أتموا تعليمهم في روسيا قصة تكاد تكون
صورة صادقة لشعوب الشعب الروسي نفسه
تجاه الشيوعية .

قالوا : ان زملاءنا في الدراسة من الطلبة
الروسيين كانوا حريصين على الاتصال بنا في
سرية تامة قبيل مغادرتنا لوطنهم ، ليحملونا
الرسالة المتضمنة في الحوار الآتي الى الانسانية
جمعاء :

الطالب الروسي : صديقى فلان – هل فكرت يوماً فى تقديم خدمة للانسانية ؟

الطالب الصومالي : نعم ، ولن أتأخر فى تلبية طلبك .

الطالب الروسي : بلغ أمم الأرض التعاسة والعذاب اللذين نحياهما .

الطالب الصومالي : (مشيراً الى قبضة النظام الشيوعى وقنابله) ولكن يا صديقى ان هذا لن يغير من واقع أمركم شيئاً .

الطالب الروسي : أعرف ذلك ولكن على الأقل أنقذوا شعبكم من ويلات الشيوعية .

وبعد فاذا كان هذا لسان حال أبناء روسيا ذاتها فماذا عسى أن يكون حال الأوطان الواقعة تحت احتلال روسيا فى آسيا وأوربا وأفريقيا ؟
لا مانع من التفكير فى ذلك .

حقاً ان الحديث عن أيّ جانب من جوانب

الشيوعية من شأنه أن يعيد الى الذاكرة الآية
الكريمة : (وفى ذلكم بلاء عظيم) فهل من معتبر ؟
بقي أن نعرف أن مردّ فشل الشيوعية في
الحياة العملية ليس أسباباً عارضة أو عوامل
خارجية وانما هو نتيجة حتمية للخطأ الفاحش
الذى تقوم عليه النظرية الشيوعية في تفسير
الانسان كيف ذلك .

يقول المذهب المادي الذى هو قوام الفلسفة
الشيوعية ان كل ما ندركه بحواسنا الخمسة
مقبول ومرضيّ عنه كحقيقة ملموسة وقابلة
للدراسة والبحث والنقاش وكل ما لا ندركه
بحواسنا مرفوض عقلياً ومردود علمياً .

واستلزم هذا التفسير الخاطيء للحياة
الاهتمام والاعتراف فقط بالجانب المادي (الجسد)
للانسان بهذا والغاء جانبه الروحي ديناً وفكراً
وعاطفة بهذا المفهوم الخاطيء أخذت الشيوعية
الانسان الى العمل أى الحياة العملية فاذا هو
شئ آخر ومختلف تماماً عما قيل عنه نظرياً ،

واذا بمطالب الجانب المادي فيه تتضاءل أمام رغبات الجانب الروحي فيه .

ومن ثم لن تجد الشيوعية مندوحة من تحويل جنة الديمقراطية البرولتارية التي وعدت بها الطبقة العاملة الى قواعد بوليسية ومراكز ارهابية ووكرات جاسوسية لاسكات صوت الشعب بفوهات البنادق .

ج - فشل الاشتراكية في أفريقيا :

تكاد أسباب فشل الشيوعية في كل أنحاء الكرة الأرضية تكون واحدة . وذلك لأن الشيوعية تحمل في طياتها عوامل فنائها لتعارضها مع فطرة الله في الحياة ، ومحاولاتها اليائسة لطمس معالم الحق والحضارة والخير التي توارثتها البشرية عبر آلاف من السنين . وقد حدث اخفاقها على النحو الآتي :

بمرور الزمن خفت حدة الحماس للشيوعية عند الشعوب التي خدعت بها ، فاستفاق الناس

من تخدير دعايتها المزيفة المعرضة ، وفتحت أعينهم على واقعهم المأساوي المفجع ، وتجلت لهم حقيقة الشيوعية ساطعة كالشمس في رابعة النهار .

ومن ثم انقلبت أمم الأرض على الشيوعية أنصارها بكل عنف وكراهية وشراسة . ففي أفريقيا مثلاً تم القضاء على الشيوعية في كل من مصر والسودان والصومال على التوالي .

وكلها من أوائل الدول الأفريقية التي انخدعت ببريق الشيوعية . وهذا أمر بديهي ، إذ أنه ما كان لوباء مدمر للأنفس والأديان والأموال كالشيوعية أن يستمر أكثر من ذلك .

والحق أن الشيوعية انكشفت عالمياً كمذهب بَشَرٍ بانقاز الانسانية ، وانحسر مدها في الأقطار الشيوعية القديمة التي تشكو هي نفسها من أزمة انسلاخ شعوبها من الشيوعية .

غير أن الشيوعية تمخضت عن ظهور قوة

غاشمة ذات خطر محقق على العالم وهي
(روسيا) .

د - روسيا فوق الجميع :

كلنا نعلم أن الاتحاد السوفياتي احتل في
السنتين المنصرمتين عدة دول أفريقية وآسيوية ،
مستخدماً في ذلك بقوات مرتزقة من كوبا في بعض
تلك البلدان ، ومستعيناً بحكومات عميلة له في
بعضها الآخر ونعرف أيضاً أنه استولى على
أفغانستان بقواته العسكرية المسلحة في وضع
النهار .

وبلغ مجموع اللاجئين من تلك الأقطار
عشرة ملايين نسمة حسب احصاءات وكالة غوث
اللاجئين التابعة للأمم المتحدة . وهذا الرقم ،
كما ترى ، مفعج ومفزع معاً ، رغم أنه في مرحلة
أولية نظراً لتصاعد الحروب في الأوطان التي فر
منها هؤلاء اللاجئين بما ينذر بزيادة مضطردة
في أعداد تدفق اللاجئين وتساقط الشهداء في

ساحات القتال دفاعاً عن أوطانهم ضد الاحتلال الروسي .

أقول أن هذه الأحداث أثارت في نفسى رغبة قوية فى اجراء المقارنة من حيث السلوك والأهداف بين حكومة روسيا فى أيامنا هذه .

واليكم نتيجة المقارنة :

أولاً : أوجه الشبه بين الحكومتين :

– رغبة جامعة وجنونية فى بسط النفوذ والسيطرة على العالم .

– ضرب الرأي العام العالمى وجميع القوانين والأعراف الدولية بالحائط .

– الهاء الشعب بحروب جانبية كمحاولة يائسة لحل المشاكل الداخلية بأمجاد فتوحات خارجية .

– فتح معسكرات التعذيب والاعتقالات لكل معارضى النظام الحاكم .

– طغيان نزعة التكبر والغرور بما يوفر لدى

النظام الحاكم من رجال وعتاد حربي . ومن شأن هذه النزعة الاستخفاف بقوة أمم الأرض مجتمعة .

فقدان الرحمة الانسانية وعدم الاحساس بمعانات البشر على الاطلاق .

ثانياً : نقاط الاختلاف بين النظامين المذكورين :

ألمانيا : (ألمانيا فوق الجميع) والروسيون لم يصرحوا بعد بأنهم فوق الجميع أو شعب مختار ، وان كانت أفعالهم تغنيينا عن مثل هذه الشعارات .

ألمانيا النازية أعلنت الحرب ضد الكل وفي جميع الجبهات، والروسيون يسرون ، مستفيدين من تجارب هزيمة ألمانيا ، على مهل ، شريطة أن يبتلوا بلدين أو ثلاثة في كل سنة .

هذا كل ما وجدته من فروق بين حكومة روسيا اليوم وحكومة أدولف هتلر ، وكلها فروق ، كما

ترى ، فى التكتيك والوسيلة لا فى الأهداف
والسلوك . وكلى أمل فى أن أكون مخطئاً فى هذه
المقارنة والا فان الكارثة واقعة لا محالة .

وأخيراً ، فليكن فى علم القارئ أن كل ما قلته
عن الشيوعية لا ننفى أن ثمة فى معظم أقطار
العالم الثالث أوضاعاً قاهرة وظالمة لا يمكن
تحملها أو السكوت عليها بيد أن الشيوعية
ليست بديلاً طيباً على الإطلاق .

الخاتمة

من باب تحصيل الحاصل القول بأن أفريقيا متأخرة في جميع مجالات الحياة بالمقارنة الى الدول المتقدمة وهي في نفس الوقت قارة بكر غنية وشاسعة بالقياس الى الأمم المتطورة أيضاً وتلك مفارقة عجيبة .

ومبلغ علمي أن تأخر القارة الأفريقية مردّه تأخر ظروفها التاريخية والحضارية قديماً ، مضافاً الى ضعف مستواها الثقافي والعلمي والاقتصادي حديثاً .

فالمشكلة الحقيقية عند الأفريقيين انما هي عدم وضوح الرؤية فأصل المتاعب غير معروف والطريق الى حلها مجهول .

وبناء عليه باتت معظم طاقاتنا المادية والمعنوية عقيمة كأنهار منصبة في بحار وصارت

أعمالنا شبيهة بملاكمة جماعية في غرفة مظلمة وقتالاً مستميتاً في حلقة مفرغة حيث تأتي الضربات على المصالح العامة والأصدقاء أكثر من إصابتها بالأمراض الاجتماعية والأعداء .

وعلى هذا الأساس فلا تبدو في الأفق أي معجزة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية قادرة على رفع الحياة الأفريقية من الحضيض الذي هي فيه إلى حضارة القرن العشرين ، وتقدمها المادي والعلمي . ■■■

الفهرست

الموضوعات الصفحة

- ١ - المقدمة ٣

الفصل الأول

- ٢ - أصل الأفريقيين السود ٧
٣ - أصل كلمة أفريقيا ١٥
٤ - شمال أفريقيا مصدر حضارة أفريقيا السوداء ١٧
٥ - الامبراطورية الأفريقية القديمة ٢٤
٦ - أ - امبراطورية غانا ٢٥
٧ - ب - امبراطورية مالي ٢٨
٨ - ج - الامبراطورية الحبشية ٣٢

الفصل الثاني

- ٩ - دور أفريقيا السوداء في الحضارة العالمية ٤٣
١٠ - فضل الاسلام والحضارة العربية على أفريقيا السوداء ٤٤
١١ - من رجالات الاسلام في أفريقيا السوداء ٥٠
١٢ - عثمان دان فوديا ٥٠
١٣ - السيد محمد عبد الله حسن ٥٢
١٤ - خصائص حروب السيد محمد عبد الله ٥٦
١٥ - مآثره في الصومال ٥٧

الفصل الثالث

الموضوعات	الصفحة
أفريقيا من القرن ١٥ الى القرن ١٩	١٦
حظر تجارة العبيد	١٨
تجارة العبيد	١٧
آثار تجارة العبيد على أفريقيا	١٩
أسباب احتلال أفريقيا في القرن التاسع عشر	٢٠
الحياة الأفريقية	٢١
الحياة الأوربية	٢٢
الاكتشاف الخطير	٢٣
آثار الاحتلال على أفريقيا	٢٤

الفصل الرابع

الحرب العالمية الأولى ، أسبابها وأثرها على أفريقيا	٢٥
الحرب العالمية الثانية ، أسبابها وأثرها على أفريقيا	٢٦
مشاكل ما بعد الاستقلال	٢٧
الحياة البرلمانية	٢٨
منظمة الوحدة الأفريقية	٢٩
الانقلابات العسكرية	٣٠
الحكم العسكري للشعوب	٣١
مجلس الوزراء العسكري ..	٣٢
الاشتراكية في أفريقيا	٣٣

الفصل الخامس

الموضوعات

١٤١	الشيوعية والاشتراكية	٣٤ -
١٤٣	دعائم الاشتراكية	٣٥ -
١٤٦	أسباب التمسك بالشيوعية عند الشعوب النامية	٣٦ -
١٥٧	فشل الاشتراكية في أفريقيا	٣٧ -
١٥٩	روسيا فوق الجميع	٣٨ -
١٦٣	الخاتمة	٣٩ -



المقر الرياض - الملز - تفرع شارع جريروس.ب (١٥٩٠)

تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقياً : دار الرفاعي

المملكة العربية السعودية

المؤلف بقلمه...



ولد في عام ١٩٤٠م في مدينة
 ربحونية في بادية مدينته
 حالكين بالصومال ، وادخل في
 المدارس الابتدائية لحفظ القرآن
 الكريم وتعلم المبادئ الأولية
 للغة العربية والحساب .
 انتظم في مدارس البعث
 التعليمية المصرية بالصومال
 حيث واصل علمه الدراسة في اللغة
 من تصنيف مرحلة التعليم الثانوي
 وفي أكتوبر سنة ١٩٦٢م تخرجت دراسة
 للبرفوقية في مصر حيث انجز تعليمه
 الثانوي والجامعي بتخرجه من كلية آداب
 القاهرة قسم اللغة العربية رفعة يونيو ١٩٦٦م
 التوجه فوراً لتخرجه بالعمل بوزارة المعارف
 الصومالية فترجعاً إلى الوطن فعمل في
 مدرس اللغة ناظر اللغة مفتشاً قديماً
 للتعليم حتى وصل درجة نقابة عام بوزارة
 المعارف فتمتلك بذلك خبرته في تلك
 الوزارة في مارس ١٩٦٩م
 ثم قدم إلى أرض المملكة العربية السعودية
 حيث يعمل حتى اليوم متمتعاً بالقدامة في
 الرياض في ٦/٧/١٤٢٧هـ

(Signature)